مكتبة ماجد الجبوري/كتب كتب كتب

سعد محمد رحيم

المحطات القصية

قصص



مكتبة ماجد الحيدر //كتب.كتب.كتب

دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات الى
المدير العام
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص ب ٤٠٣٢ - فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني aruklm net

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

سعد محمد رحيم

المحطات القصية

قصص قصيرة

الطبعة الأولى — بغداد

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

وذي في الطريق حقائبنا
مهملاتٌ تضج بنا
لاقطار سوى الريح
تعلو وتهبط
خلف الزجاج مصفقةً

القطارات تنأى
نوافذها في الأكف ترفُّ
مناديلها في السماء

الشاعر يحيى البطاط
((من ديوان (تموت الشظايا)))

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

محطة قصيّة

عرقه يتصبب   يهشم كل أفق، ويترك في الضياء ألف إنكسار ، ولعلها عيونه الكليلة الدامية منذ ربع قرن   أو هي هشاشة عتبات أرذل العمر / منطق الأفول، إلاّ أنه استوعب تماماً حجم هذا المهدّم، لا حوله، بل في داخله. وايضاً امكانية أن تتقوض العربة، أو ربما الحصان   وفي هذه الأيلولة أحاط به فراغ، أو احتضن هو الفراغ. وكان عليه أن يستريح هكذا ظنَّ، غير أنه لسبب غير محدد مضى بالعربة وحمولتها باتجاه المدينة، وكاد يلتفت نحو المحطة ، وتذكر أنها لم تعد كما كانت فوجد ذاته/الصبي في نقطة قبل خمسين سنة منهمكاً، في يده الفرشاة المثقلة بالدهان الأخضر

والآن ، رأى أن يستأنف سيره. وباستثناء تلك الومضة التي ماعاد على يقين من حقيقته، كف عن التفكير   وكان

الحصان منهكا يجرُ كومة من الحديد العتيق بمؤازرة عجـــلات قد تخذله في أية لحظة، ولم يكن مؤكداً أنه يــــهتم، ولا حتـــى الحصان. والطريق يتآكل بين نخيل، وحصى تلمـــع، وظـــهيرة مخنوقة بالضوء. واللجام نصف مشدود بين اصابعــــه، كذلـــك السوط المرتخي بلونه الحائل، المتشقق الذي لم يجلد به كفـــل الحصان بعد الحركة الأولى

الحصان يعرف طريقه، أما هــو فقــد استســلم لطنيــن الشيخوخة في رأسه، ممعنا في لا اكتراثه، والــــهواء يجفــف وجهه، وفطن الى أنه عطشان، ولا ماء لديه، والعربة تمطـــط المسافة، والمسافة عارية الى الطفل حامل الفرشاة هـــــاهو يظهر في العتمة الغريبة، في هالة من الحنين، أمام رجل هـــو الأخ الأكبر أو الأب يشفق عليه الرجل ويأخذ من يــده الأداة الثقيلة فيمسح عرقه بكم ثوبه ويجلس ليراقب الزحفِ الأخضـو للفرشاة على الحائط

الطريق خضراء مظللة إلى المدينة، والمدينـــة تخرقـــها شوارع شتى تشتبك وتنحل ..تمتد وتدور تضج بالعجلات والعربات والمارة خريطة مدوخة لم يفهمها قـــط وكـــان يهرب إلى محطة عنفوانه كل يوم واليوم تنبذ المدينة قطـــار البخار وتهدُ المحطة الرابضة في عز ذاكرته .. آلاف الليـــالي

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

الفاصلة كأنها لم تكن، وخيط التعب الذي سطا على نخاعه، وترك العالم ينقبض في العماء الأخضر أغلق عينيه ليحاصر الحرقة فجاءه الصدى هو في البناية الواسعة الأنيقة، والرائحة الطازجة تفغم روحه واقف في وسط غرفة يصيح، فتعبث معه الحيطان

ها

ها ها !!!!!!

ينهره رجل هو أخوه أو أبوه غير أنه مفعم بدهشة التعرف الأول الصدى الذي يشيله على ريشة الفرح، والقطار الذي سيتقمص آماله ويمضي بها إلى البعيد

تحسس الجزء القريب من كومة أنقاض المحطة التي ينقلها.. قبض على قطعة حديد استشعر فيها بقايا أثر من الغبار القديم، أو الطلاء القديم فدهمته غصة كادت دموعه تنفلت بسببها، والحصان يمشي على مهل، ويخب ببطء حالما يصير على الشارع الاسفلتي، وهو لا يلحظ، أو لا يهتم

قالوا: محطة أخرى ستشيد في الجانب الآخر، وربما مطار أيضاً فكر ؛ في ما إذا كانوا سيدعونه يشتغل في أي منهما .. تهيأ له أنه يناول البنائين الطابوق، ويحمل الفرشاة

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

التي تقطر بالدهان من كلِّ لون   بنايات عاليـــة تُـرى كيــف سينوشها ويتسلق الجدران؟ .. كيف؟   لن يدعونـي !!

وكانت أصابعه ترتعش، ولم يفلت قطعة الحديد التي فيها بقايا من الغبار أو من الطلاء القديم، والغصةُ تتفاقم فيه

صرخ به تاجر الخردة ساخراً، وقد ظنه نائمـــاً عندمـــا دخلت العربة الفناء الواسع لمخزنه   أسرع صبـــي ليمســك باللجام الساقط.. كانت رقبة الشيخ متدلية على كتفـــه، يســنده من الخلف بعضُ أنقاض محطته القصية

١٢/ ٨ /١٩٩٨ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

زيـــارة

تحسس الرجل المفتاح في جيبه ليتأكد من وجوده هناك، بينما التفتت المرأة وراءها وهي تحمـــل الحقيبـــة الكبـــيرة عندها بدأ القطار الذي جاء بهما من بعيد يتحرك تحت المطـــر المتساقط

قالت المرأة

ألا ترى إننا تورطنا

قال الرجل وكأنه يخاطب نفسه:

ــ كلام فات أوانه

ــ يمكننا أن نرجع

ــ لا يمكن

ولأنهما تبللا تماماً لم يعد يهمهما أن يســـرعا أكـــثر، أو لعل التردد هو الذي جعلهما يمشيان متباطئين على الرغم مـــن اشتداد المطر

قالت المرأة :

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

ـ في مثل هذا الوقت تعوّد أن ينام

قال الرجل

ـ بل تعود أن يسهر حتى الفجر

ـ معهم (أضافت المرأة بحزن)

ـ معهم (أكد الرجل)

تلاشى هدير القطار وبقي وقع المطـر علـى المظـلات الصفيحية للمحال المغلقة وحده يشج سكون الشارع

ـ اعطني الحقيبة أحملها عنك

ـ دعك منها فهي ليست ثقيلة

فكر الرجل؛ في ماإذا كانا سيجدان مطعماً يقـدم حسـاء ساخناً في هذه الساعة المتأخرة

قالت المرأة، وفي نبرتها توجس وحسرة

ـ أتذكر   كانت الشمس قد بزغت ذات مرة ولم نجده

ـ كان يسهر مع أصدقائه في مكان آخر كما قال

ـ لنرتح قليلا

جلسا على دكة تحت مظلة من المعدن   داعب الرجـل المفتاح في جيبه ، وأخرجت المرأة منديلا راحت تمسـح بـه وجهها ورقبتها، واسنانها تصطك   قالت

ـ بردانة

ـ سنصل بعد قليل   في شقته مدفأة

ـ أخشى أن تكون الفطائر قد تبللت

ـ الحقيبة محكمة، لا ينفذ اليها الماء

ـ أنت تعرف .. مذ كان طفلا وهو يحب هذا النوع من الفطائر بالجبن

ـ أنت بارعة في عملكِ

ـ أظنني سأُصاب بالانفلونزا

قاما يسيران على رسلهما   قالت المرأة

ـ كنت قاسياً معه في المرة الأخيرة

اختنق الرجل بآهة مكتومة، أطلقها وقال

ـ طلبت منه أن يعود الى بيته ويتزوج

ـ قال إنه لا يطيق البلدة   هذه مدينة كبيرة ، وفيها يلتقي بأصدقائه

ـ مفلسون، يكتبون شعراً لا يفهمه أحد ويثرثرون طوال الوقت

صاحت المرأة بغضب

ـ لا تقل هذا   لا تقل هذا

ـ لا عليك   أنا آسف

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

وجدا محلاً مفتوحاً وهما يدنوان اكتشفا أنـــه مطعـم صغير.. فوجئ الشاب الذي كان يقف أمام قدر كبير موضــوع فوق طباخ غازي بهما

سأل الرجل

ـ أعندك حساء ؟

ـ سينضج حالاً

دخلا فغمرهما دفء المكان قال الشاب

ـ أنتما مبللان إقتربا

وضعت المرأة الحقيبة بتؤدة أرضاً ونشـــرت ذراعيـــها كأنها تريد إحتضان النار تحت القدر

قال الشاب

ـ أنتما غريبان

ـ جئنا بالقطار

ـ شغل ؟

ـ زيارة

قالها باحتداد فكف الشاب عن طرح الأسئلة

جلس الرجل إلى طاولة دائرية، وجاءت المرأة لتجلـــس قبالته، وبقيا صامتين يحدقان عبر الواجهة الزجاجيـــة بـــالليل الربيعي المكتظ بمصابيحه الشاحبة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

جاء الشاب بصحنين من الحساء يتصاعد منهما البخار، وبقطعتي خبز .. قالت المرأة

ـ لم يتناول الحساء عندما أحضرته له

ـ في الجيش يقدمون الحساء كل صباح حتى ملّه

ـ خرجت واشتريت له صحناً من (قيمر العرب) أتذكر ؟

ـ من أيام إجازته كلها ماكان ينام في البلدة سوى ليلة واحدة..

ـ ولهذا صرخت بوجهه

قبض الرجل على المفتاح في قاع جيبه بقوة كما لو أنه يقاوم حنقاً جامحا في دخيلته، على نفسه، أو على أي شيء آخر قرّبت المرأة الملعقة من فمها ونفخت فيها قبل أن تأكل.

ـ كل

أذعن الرجل وراح يأكل

ـ كنا نريد فقط أن نطمئن عليه

ـ ألا تذكرين كم كنا نقلق، ونخاف ونحن نستمع إلى أخبار المعارك

ـ كانت حرباً طاحنة

خرجا والفجر يشهق، وكانت المرأة هي التي تحمل الحقيبة أيضاً ..

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

أخرج الرجل المفتاح من جيبه وأعاده ثانية

ـ شقته هناك ، في تلك العمارة

صعدا درجات السلم يلفهما سكون قاتم، وحين وقفا أمـام الباب نظر أحدهما إلى الآخر برجاء أدار الرجل المفتاح فـي ثقب الباب فاستجاب بيسر تخطيا العتبة وكأنهما يتوقعان أن يرياه كما في آخر لقاء إذ وجدا الباب نصف مـوارب فدفعـاه. وكان جالساً وحده يقرأ في كتـاب (يقـذف الكتـاب جانبـا ويصيح من دهشة وفرح: أنتما ؟!!)

هجمت عليهما رائحة الرطوبة والغبار وكانت العتمـة شديدة في الداخل مد الرجل يده وأشعل مصباح النيـون فوجئا به يطل عليهما بعينيه الواسعتين وابتسامته العذبـة أسقطت المرأة حقيبتها وهي تهمس

ـ حبيبي

واستدارت نحو الرجل الذي كان يقف بأسـارير جـامدة خلفها يحدق في تلك الصورة المؤطرة بالعاج، وتعانقا تعانقا للمرة الأولى للمرة الأولى مذكان ذلك اليوم الذي لن ينسياه أبداً، وأجهشا في بكاء طويل.. حارق

٢٦/٥/١٩٩٩ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

المحطة الثالثة

(١)

يلهث النهار، والغبار نبض الطرقات التي تتداعى في فسحة حلمه غبار يتصاعد، ورجل وإمرأة يعبران .. يقول لها:

ــ ذاكرتك منفاي الأخير

تقول له

ــ مازلت تسعى كي تخبيء الضوء في راحتك المضمومة .. يالك من واهم كبير

يتثاءب المشهد، وتسيح صور كأنها من عوالق أمنيات قديمة.. أين رآهما معاً ؟ .. لعله، قبل عشرين حولاً، يقف على ناصية رغابه الماطرة .. لعله، في زمن، ربما، يمت لصباه، يجلس أمام الشاشة العريضة مذهولاً، مستسلماً .. لعله، أمس،

غير أن كركرتها، وحدها تتصادى عبر مســـاحات يظــن انـــه اجتازها ذات جنون.

(٢)

تجلس المرأة لترقب عبث العاصفة رقصــــة الشــجر العاري يتوسل نزوة المطر، والبيــوت الكــامدة فــي احتقــان المساء.. من هنا مرّت دونه من هناك مرّا معــا، ولعلــهما افترقا حين اعتقل الغيم الهائج النجمة الأخيرة

ودت لو تروض صورتها الواغلة في غيابة السنين لو تمسك بالأشياء التي تتفلت، وبالقطارات التي إمّحت في هاجس الرحيل

قالت له يوماً:

ـ دعك من اللغة الغريبة

قال لها

ـ أحاول التحليق بالكلام البلبل

تتذكر هذا، بيد أنها لم تفهم ساعتها، ولا تدري الآن متى بالتحديد، واين ؟

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

جالسة تتسمع المرأة لثرثرة الريـــح بيـــن الأغصــــان
ثرثرة الريح الأزلية التي تسخر من حماقة الزوال

(٣)

ذات مرة ترك الرجل شريطاً معتماً في سفح لهفتــــــها
ترك قوس رحيق على ترف وجهها الجميل ترك وعداً بـــلطلا
بدخول الخرائط العصية، وأحلاماً من شذا فصول غابرة ســـكنت
الفضاء حولها

وتركت المرأة سحابة يبهظها الألم .. تركت لوناً جريحـــاً
على مديات فنائه، والحريق تركت عنفاً فائضاً في عصـــــف
رجولته. ولما نهض ليمسح السخام عن المرآة، والغشاوة عـــن
دمه ليراها، سلكت هاربة في الضباب

(٤)

هما كائنان على الشفير

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

(٥)

محطة اولى، والفجر يهب آخر ارتعاشاته   يقف الرجل المستوحش وحيداً، يكتسظ الندى بعينيه، وعلى الحصى والاشجار، وعلى القضبان التي خذلت ضلالاته، ولم تأت بالقطار الأثير من استيهامات الظلام

يفتح الرجل راحتيه إذ تصعد الشمس كما لو أنه يمنح الحرية يائساً لطيور نسجها من خيوط الليل. ويغلق عينيه محاولاً تقويض وجع الروح، فيشهد أشياءه تنهار   تنهار في الريح

(٦)

محطة ثانية، بعيدة بعيدة. ووحده الذي تريده أن يجيء، لايجيء .. من القطارات يهبط ألف ألف وجه لا تعرفه، ولا يطل هو.. ولا يصل، بريد

عابر سبيل يعطيها درهماً لا صفاً، تقذفه في البركة التي كانت يوماً ما نافورة مضيئة. وآخر يمدُّ لها ببقايا طعام، ترميه

لكلب بائس. وثالث يقرأ على محياها أثراً من فتنة ضائعة فيطلب منها أمراً معيباً فتبصق عليه

تيمم وجهها شطر الريح الريح العاوية في فلوات النهار علَّ رذاذا من قُبله القديمة يغسل روحها روحها المرصودة للنواح المرير

(٧)

في المحطة الأولى وضعوا تابوتاً، فيه جثة رجل صعلوك، في عربة الموتى في المحطة الثانية وضعوا تابوتاً، فيه جثة إمرأة متشردة. وقبل أن يصل القطار المحطة الثالثة حيث توجد المقبرة، قامت الجثتان من تابوتيهما فتحتا النافذة تشابكت أذرعهما فتلقفهما الهواء

٩/١٢/ ١٩٩٩ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

محطة التيه

وجعي ينمو خلف خاصرة الليل .. تحتفي بـــه النجـوم الزرق الهفهافة، الحيادية فينمو .. يتشعب الى حيـث القـاع، معززاً ضد الخطايا المقصودة وتاريخ الضلالات. فماذا يجديـك الانتظار سيدتي في ذلك البيت الآيل إلى الاختنـاق ؟ .. مـاذا تراك تتوقعين من رجل يخبىء تحت جلده حماقات أسلافه، ولا يرنو إلاّ إلى منار الفواحش، ويقاضي كلماته بالخدر الممـض وتخرصات العاصفة ؟

ولكأنني أبكي إذ يمتص المساء أنين القطار المغـادر لكأنني أهفو الى اللحاق به والتوغل عميقاً في شرخ الذاكـرة وثلج المسافات

هذا العشب يُحاصر الطريق إليك انـه الطـالع مـن فوضى الزمان .. من رائحة أيام أمعنت في الهروب المخيف .

ماذا تبقى وخطاباتكِ كانت تريق ندمي فأقول؛ هيـــهات. لكنني الساعة - جئتُ شاهداً - لا طائل من وراء شـــهادته - على خرس الخراب ؟

ماذا تبقى من شتاتكِ غيرُ الأسم، وهذا الوهـــم العـالق على الإكليل الأخير؟ ماذا عساك ستقولين وسط الغبار الفـــادح مما تخلّف من استثارات النسيان ؟

ما فرحكِ المؤجل الاّ زبد على ضفاف نزقي، ورنين تخثر حتى حلم مسمى ذلك الشجر على الطريــق، أحســب أنني سألقاه لعله سيوصلني بهمس ذلـــك النـــهار بضحكتـكِ الأثيثة.. بالتيار الهائج من اصابعكِ يكيد بتبلـــدي، ويمنحنـي الغفران

الليل يتلجلج، وانا، كيف أميّزه شـجر الأمـس؟ وكيــف أصيغُ لكلامكِ المكسّر بلُعب الغنج أو الخجـــل، أو مــن فـرط الغبطة تاخذك إلى الصياح اللذيذ، وتأخذني إلى جنات عينيك

الليل يندس بيني وبين شجرنا وصوتكِ .. والعشبُ يلتهم بقايا الطريق، فأين تراني أجد العلامـــة لأطيــح بانتظـارك المصابيح تتوامض .. تضللني. والبلدةُ هذه أعرفها، تنامُ مـــع العصافير .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وحدك الان، ربما، يغيبكِ الصحو، والإنشـــداه بغوايـــات
الشعراء.. أمازلتِ تقرأين؟ أمازال تـــرف الموســيقى يفــرش
مخمل روحكِ ؟ لا طريق الآن   العشب الاشـــعث يتصيـــد
خطوي، والأعمدة - الاعمدة في الجوار - أشـــباح وســكارى
ألفوا المقام فناموا
وبعد ضياع
هذا بيتك / بيتنا   هذا الصفصاف العتيق   هذا السـرو
ترهل كثيراً، وتلك نخلة كبرت، أذكرها .. وأنتِ   أين تـــراك
انتِ؟ على الأرجوحة تعبث بكِ أطياف الشـــعراء الموتـــى، أم
على الطاولة تخربشين مايليق بأساك ؟ .. لستِ نائمةً قطعـاً
ربما تعبرين ـ الآونة ـ خلل حلم أو ألم أو هوى هو إرثكِ، أو
ماتناثر، رغماً، من ليل الخسارات
كانت خطاباتك تترى، وأنا في شغل عنك، الملم مانفرط،
حتى لا أدري لم ألفيتني وقطار المساء يقلُّ بقاياي اليكِ ؟
كدتُ أعود، وتهت بين العشب والأشجار، وأعمدة النور.
وهواجسي كانت ورق الخريفِ بكف الريح
هذا بيتك/ بيتنا
أطرق الباب
ـ من ؟

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وأخيرا   هي أنتِ   لابد أن تكوني أنت

إمرأة تفتح عن شعرها الأبيض   أسألها عنكِ   آسـفة

ترد الباب   أطرق ثانية .. تفتح   الحُ في السؤال   غاضبة

ترد الباب   أعاود الطرق   تهبُ جنوناً فاغور في الليلِ

أماتت؟ أم لعلها أسرفت في الرحيلِ؟   أم   أم   ؟

ياللأباطيل

١٩٩٦

جريدة العراق

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

في انتظار الملاك

البرد يضفي العتمة على أشياء الشارع، وعلى نظرات البشر أيضاً نهار مقبض جهم وفظ ، وشارع مفتوح لريح شعثاء تحمل الأوراق والرمل وتناكد صياح الباعة. والبشر يفرون في اتجاهات شتى، كأن الشارع بعد حين سيخلو لكنه يبقى .هكذا فيه البشر يفرون في اتجاهات شتى ولا يخلو

وأنا هنا/ هناك على مقعد عذاباتي، أنتظر ولا أنتظر.. أداهن المرور المغبر لساعات النهار، وأتشرب الانخطافات اللامجدية لمكونات اللوحة قبالتي لوحة متغيرة مضطربة ناس وسيارات، وعربات تجرها خيول أما الخلفية فهي هي.. ساكنة ورتيبة واجهة مكتبة لا يدخلها إلاّ قلة من العابرين، ومحل لبيع الآلات الموسيقية صاحبه منكب أبداً على شيء ما أمامه .. يشذّبه أو يداعبه أو يصلحه إنه هكذا على الدوام، أما فوق المكتبة والمحل فثمة شرفة، لم يُفتح

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الباب المؤدي اليها كما في كل يوم   المرأة التي تختفـي وراء الباب ماذا عساها تفعل الساعة ؟

أتراها خرجت، أم لاتزال نائمة، أم فضلت القــراءة فــي الداخل لأنها تكره الغبار ؟ وانا ؟!! ألا تــدري بــأنني ســأبقى أنتظر على الرغم من البرد والغبار والسأم لأنه لا أمــر آخــر يمكنه أن يشغلني

وسط هذه القسوة الرمادية الكامدة تلوح الشرفة وحدهــا المشعة، تمنح الدفء والنبض والوعد. فسيدتي هناك .. ينبغي أن تكون هناك، وراء الخشب الصاج الــبراق الــذي، لاشــك، سيُفتح عن حضورها السار الآسر الحار القوي   الآن أو بعـد لأي

هي مغرمة بي   كل صباح تجلس فــي مواجــهتي تتظاهر بالقراءة في كتاب أو تتصفح مجلــة مصــورة، وبيــن لحظة واخرى ترمقني بلطافة ودود   نظراتها تدفق الماء على كريستال الروح   وجودها، وحده، المحتمل في قَــدَر القيـد. وهي آخر الخطايا المجيدة في سلّة الحياة، وإلاّ ما الذي تبقَى ؟

في الحرب كنت أنتظر أيضاً .. كنت أســاوم المــوت أخدع ملاكه المبجل   أقول ؛ الأيام بيننا   أمهلني قليلاً، هـذه المرة فقط أذهب وأعود   الإجازة المقبلة ضروريــة فــامرأة

العمر في انتظاري، أو فرصة العمر، أو متعة العمـــر فـــي حقيبتي أخفي التمائم تمائم هواجسي ورقة هي مشــروع قصيدة لم تتم، وحين تتم تعال أيها الملاك
وانا لن أجعلها تتم
أو، هي، تخطيط لوحة لم تُكتمل، وعندما تكتمل ســأكون مستعداً أيها الملاك لكنني لن أدعها تكتمل، حتى ضاق بـــي ذرعاً، وكان ذلك المساء
كان ملاك الموت في ذلك المساء قريباً جدا حتى شـــعرت بأنفاسه الحارقة تقذفني إلى مهوى غريب، هو ما بين الصمــت والنوم والغيبوبة كان دخـــولا فـــي تهويمـــة خضـــراء الاخضرار بدرجاته المريعة، وكل شيء كالظل، أو هـــو الظـــل قائماً في اكتفاء خالص، واشياؤه في إنفلات وهروب أبدييـــن. وأنا ظل منفلت وهارب أيضاً مجـــذوب الـــى نقطـــة تغـــير موضعها. وفي كل لحظة أتطوح في إتجـــاه مختلـــف، وثمـــة اتجاهات لا تحصى ثم فتحت عيني على الأبيض الفـــاره جدران واضواء وأغطية وزهور، وفتـــاة، كلـــها تســـبح فـــي البياض.. حتى الفتاة كانت جزءاً من حيادية البياض وســـكونه الباهظ. وهي لم تبتسم تركتني في الخواء الأبيض وخرجت، فوعيت للمرة الأولى ماحدث فتلبســـتني حالـــة مـــن شـــجن، وصرامة دكناء .

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

تلك المرأة الآن خلف الخشب الصاج لباب شرفتها، لكـن الغبار صدأ مقيم، وهي لن تخرج إلاّ إذا سقط المطر .. مطر مطر.. مطر

وصرت أنغـم نـبرتي ((مطـر مطـر مطـر ..)) ربااااآه.

هو ذا مطر ناعم بدأ يسقط .. مطر هادىء، موّقـع راح يبلل المارة الهائمين الغبار ينحل، وفيه يذوبون. وها هـوذا النور ينتشر فأراها سيدتي تفتح باب شرفتها فيتبـدل المشـهد كله، مكوناته وضياؤه، محتضناً قدّهـا الباسـق وترتعـش الألوان إذْ تقترب في خطواتها أول اضطراب الموج

ـ كيف بي؟

أهمس لنفسي

ـ كيف بي؟ كيف بي؟

الجذور جذوري تهزها موسيقى باذخة أصرخ

ـ كيف بي؟

وعلى حين غرة، ظل مايغطيني فيخفت الضوء، وتختفـي المرأة، ويعود المارة والعربات والجهامة والـبرد والغبـار ويتوقف المطر

ـ مابك يأبي ؟

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

ـ

ـ مابك   لم تصرخ؟

ـ اذهب الآن   اذهب

ـ الطعام جاهز   العائلة في انتظارك

ـ ليس الآن .. ليس الآن

ـ الأفضل ياأبي أن نخلصك من هذه اللوحة

لم يأبه ابني لإعتراضاتي   أدار كرسي ذا العجلات وأخرجني من غرفتي   في الصالة أحاطتني العيون بشفقة قاتلة

بعد لحظات، ومن مكان ما .. سحيق، تناهى إلي صوت مكتوم، لشيء ما، جُعل يتحطم

تموز ٢٠٠٠مجلة الرافد (الاماراتيه

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

إنـتظـار

يصالب يديه على صدره أمام المياه الساكنة، والنـوارس البهيجة تزعق في طوفان النور يقف كما لو أنه في انتظـار مركب سعيد يحمل إليه خبراً - أو صديقاً أو إمرأة كم قـال شعراً من أجل الرمل والموج ؟. كم صحب من النساء الباسقات ليعبث معهن نكاية بالموت والأحلام الذبيحة

كان يخبىء لوعة روحه في ليل الساحل، ويودع القمـر الشائخ أسراره، ويبتكر من رؤاه ترفاً عائلياً وأطفالاً وأناشيد

في عذوبة قصيدة غاب ذات خريف، ولم يبحث أحدٌ عنه، وماعاد يختلج في ذاكرة أيّما إنسان

وحدها كانت تجيء طالعة من فجوات الندم - إمرأة فـي عينيها دفء وعذاب - تجده واقفاً يصالب يديه على صـدره يهيم في عتمات بحره الغائر، ولا يأبه للنوارس المحلّقـة فـي دفقات النور..

كانت تتساءل: أهو في إنتظار مركب منقذ ينتزعـــه مـــن سنين التيه، أم تراه ضالعاً في مكيدة جنون طافر؟

مرة واحدة فكرت بالاقتراب منه، وحالما لمسته تنـــاثرت في الرمل والموج مانحة البحر الجميل - مثلما فعل هو الآخر- نشيجاً وقصيدة

* * *

من سنين - وكلما حلّقت النـــوارس زاعقــة - يتـــهيأ للعشاق الخائضين بين الرمل والموج مشـــهد رجـل وإمــرأة يصالبان أيديهما على صدريهما، يرسلان النظــر فــي الميــاه الأسيانة كما لو أنهما في إنتظار قادم ما، أو على وشك الرحيل بعيداً

٨/١/١٩٩٩ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

يـوم آخـر .. حـلـم آخـر

هـــي

كأن الإنكسار الأخضر في أفق المطر يهيّج ذلك العصـــب السري في ذاكرتها فتنفتح الطريق إليه

ــ ((كم أحبك؟))

طريق موغلة، لاعلامات عليها، تخرق عتمات ولواعـــج وفصولا يبهظها الحنين. والسؤال الشائق الشائك يجنح كالبرق عبر النافذة، تاركاً في دخيلتها شجناً وإنكفاءة خوف ناشـــراً مسافة خذلان إلى حيث كان يشرع ذراعيـــه للـــهواء ليصيـــح بالغبطة الطافحة:

ــ ((كم أحبكِ؟))

ــ كذاب

لكأنه أمامها، ولكأنها ترد عليه

ــ كذاب وملعون

تتناثر الحروف مع وشع المطر. ويستمر [illegible] بالاصرار الوجيع ذاته

ـ كذاب وملعون

الطريق إليه تتضرج بالأخضر المقبض الذي تخاله نـزف روحها اللاهثة على الطريق   إليه

هــو:

لا يعرف لم غادر غرفته في هــذه الســاعة   ســاعة الخواء الموحش في ليل المدينة

يملؤه الضباب بالبرد والظلمة والمرض، غير أنه يواصل سيره الاعتباطي المتعثر نحو الميناء ليحدق، كما في كل مــرة، بالبحر الغارق في لا نهائيته المقلقة

هناك، توقظ فيه أضواء المراكب السهرانة طيف مسرات قديمة (أشجار تتنفس في بذخ الشمس، ونـــهر تجــري علــى صفحته أصداف اللؤلؤ، وفتاة يفتح لها ذراعيه ويصيح

ـ ((كم أحبكِ؟))

فترتعش الفتاة من فرح، بيد أنها تسأل متوجسة

ـ ((وهناك؟))

ـ ((سأبقى أحبكِ))

ـ كذاب .

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

راح يردد وهو يدخل مقهاه المعتادة، غير آبه للنظـــرات الفضولية المستغربة

ـ كذاب كذاب كذاب

يستوقفه صديق عابر مايزال عابراً منذ عشر سنوات.

ـ مسيو سعيد، ما الأمر؟ .. تعال اجلس

يجلس

ـ ماذا دهاك ؟

ـ كذاب

ـ من هو الكذاب ؟

ـ أنا

ويضج الصديق العابر بالضحك يأتيه النادل بالقـــهوة المرة.. يغلق عينيه .. يحاول أن يستجمع ملامحها في مخيلته، ولكن بلا طائل، فوجهها يغيم، ويتبدد

هـــي

تغوص في المرآة .. تستكشف كرّة أخرى لعبة الســـنين المتهكمة على وجهها تخفق في إحضار محيّاها الذي كان تحس بالإختناق يداهمها فتخرج على الرغم من المطر

تهبط المنحدر النهر الجامح، يندفع بمائـــه الغرينـــي الأدكن نحو الجنوب البعيد الأشياء التي يحملها النهر تخلَـف

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

فيها شعوراً غريباً بالاقتلاع والفقدان .. ماتزال الغيوم المتقطعة تعبر على إنخفاض تاركة فسحاً أعـــرض لشـمس مــا بعــد الظهيرة.

يعلق الطين بحذائها غـير أنــها تخطــو مقتربــة مــن الشاطىء المتآكل وهي تواجه عنفــوان الريــح تجتاحــها البرودة، وتغرق عيناها بالدمع، إلاّ أنها تبغي صــف الأشــجار العارية علّ جذوعها تصد عنها الريح. (هنا كان يفتح ذراعيــه، كما لو أنه يحاكي لهفة الشجر للضوء والهواء ليصيح

ــ ((كم أحبكِ)) .)

تمسك بفرع نافر تكسر عوداً تحاول تنظيف حذائــــها المثقل بالطين به ينهار جزء من الشاطىء على حين فجــأة فيتخاطف الماء شجرة التفاح القريبة .. تتقصف الأغصان وهي تقاوم شبق الماء الذي يحضنها بعواء أجش مكتوم

تخلع المرأة حذاءها وتتراجع مذعورة بضع خطــوات تغوص قدماها المثلجتان بالطين، وتحاصرها الريح التي تشتد.. يتكتل الغيم ثانية وينهمر مطر مباغت مطر هــائج كثيــف.. ينهار جزء آخر من الشاطىء، ويبتلع الماء شجرة أجاص هذه المرة تسعى المرأة كي تصعد نحو بيتها فتـــنزلق قدماهــا. وبأصابعها النحيلة المتجمدة تمسك بالأرض الموحلــة يائســة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وهي تجاهد من أجَل الصعود .. تنظر حواليها عسى أن يـــأتي أحدهم لنجدتها، وبعدما تتأكد من أن لا أحد يمكن أن يخرج من بيته في مثل هذا الطقس تجرب الصعود من مكان آخر

تتشبث ببقايا الأعشاب الميتة، وتفلح بعـــد عنـــاء فـــي الوصول الى البيت ... تدفع الباب وتدخل، يتنازعـــــها شـــعور بالوحشة والمرض والتعاسة، وتحس كم هي وحيدة

تُشعل المدفأة وتستبدل ملابسها المبتلة بأخرى جافـــة تستلقي على الفراش وفي أعماقها الصقيع تغمض عينيـــها ممنّية نفسها بالنوم العميق

على حين غرة ينهار الشاطىء فتتطوح المرأة ليحتـــوي جسدها مارد الماء ويمضي به الى القيعان النائية

هـــو

ألقى بجسده المتهالك على السرير، ومايزال في رأســـه شيء من طنين ما بعد منتصف الليل وأشباح أضوائه الشائخة.

ضحك صديقه العابر كثيراً وهو يستمع إلى قصتـــه مـــع فتاته القصية، تلك التي وعدها بألاّ ينساها فنسيها. لكن ذلـــك الصديق، ومن دون سبب واضح، إنخرط بهذيان متلاحق وبكاء ممزق سأله

ـ مابك أنت الآخر؟

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

فظل الصديق العابر، الذي لم يألفه بهذه الحال مذ تعـرف عليه، يهذي ويشتم

إنسحب وهو مثقل بالشـــجن والنعــاس، وعــبر أزقــة وشوارع خلفية بدت لعينيه مثل ملعب للجن تلاحقه فيه أعيـــن مرتابة معادية من غير أن يراها. وقد تحاشى عصابات صبيـــة يتجولون على الدراجات، وسكارى تعبث بهم أحزان شتى، حتى إذا دخل غرفته كان وهنه قد بلغ الدرجة الحرجة

على سريره البارد حاول من شرخ في النعاس أن يحضر وجه فتاته فغار في ممرات يخنقها الظلام   تولاه شعور كمـــا لو أنه على سفح حاد الإنحدار

ومن دون سابق نية بات يلهج بإسمها   إسمها الذي لم يتذكره منذ زمن سحيق   إذ ذاك هوى ظـــل كثيـــف، فـــأدرك للحظة أنه سينام هذه المرة طويلا   طويلا

كانون الثاني، شباط / ٢٠٠٠ مجلة الأقلام

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

حـلـم الآس

ـ ١ ـ

((ان ألتقيها ثانيةً)) كان رهان الروح الأخير، لكنها حين إنبجست أمامي فجأة، وفي عينيها ندم أصم لتقول لي؛ انها جاءت لتبر بوعدها، كما لو انها لم تتوار خمس عشرة سنة بتمامها ـ وقفت مذهولا وعاجزاً عن الكلام، وقد غمرتني ضحكتها ذات الرنين، ودمعتها التي أطلقتها ومسحتها باصابعها الناعمة القاسية

فكرت بأن هذه المرأة لم تجيء اليوم إلاّ لتفتك بالسلام المؤسي الذي اقمته بيني وبين نفسي، وانا أناور ضد الجرح والذاكرة طوال مواسم الجدب والسراب. وبقيت أحاذي خط الآس، بعد أن سلمتني هي لكائن هش مخذول يحصي أعمدة الكهرباء، ويمنّي النفس برؤيتها عند العد السابع، وكل سبعة دورة عابثة في الترقب والعذاب

- ٢ -

أحاذي خط الآس علني أضعضع قلقاً يتناوشني، والفاختة تطلق ترنيمتها الشجية في رهج الظـهيرة مـن فـوق سـلك الكهرباء أنظم خطواتي أخضعها لإيقـاع الترنيمـة فـلا تتخلص من ارتباكها.. محاولة لابـد أن تفشـل طالمـا أفكـر بنظرات أبيها المرتابة قبل أن تتلقفني متلبساً بحضـوري فـي الموعد الأكيد كما في الأيام الراحلة، إذْ يخرج حشـد الفتيـات المغردات من المدرسة، وأبوها ينتظر على الرصيف، يبيع قطع الحلوى ويحدجني، فازعم - في قرارتي - أنه يعـرف، وأنـه يوماً ما، سيضيق ذرعاً فيترك عربته غاضبـاً لينقـض علـى مراهقتي الانيقة ويذيقها الهوان

في هذه الساعة أكون في طريقي الى مدرستي، وفي كـل يوم، في المكان عينه، والدقيقة عينها أخـترق هـذا الحشـد البهي، باحثاً عن عينيّ نجوى، ناسـياً أباهـا الـذي سـيكون

مشغولا ببيع الحلوى، مؤمّلاً روحي بمؤونة من نظرة عذبـــة، هي أبلغ من أي كلام، تكفيني حتى أعـــود . وعندمـــا أعــود سيكون حتماً شيء آخر   موعد آخر، وسحر آخر، وبهجــــة لايزال اسم نجوى يعيدها في دمي ريحاً لاتلبث في هبوبـــها إلاّ هنيهة ثم تهمد

ونجوى حلم بكر تطاول على خجلي وأراني منـــها مـــالم أكن أصدق أن أرى في ذلك الزمان الرائق   وهي سؤالٌ معلــق على عروة شتاء قصي انسلت من شهقات نهار ماطر ، وقبلـــة أولى تركتني بين النخلة والنخلة   بين الهاجس والـــهاجس.. بين الشمس والشبح ، وهي تبتعد راكضـــةً ، وعلـــى ظــهرها تتراقص أطياف الضوء الهاربة من خلال الســـعف وأغصـــان البرتقال، ومذاق القبلة، التي شرخت براعتي، على شفتي

ذات مرة، طلبت مني أن أحضر في العاشرة صباحاً، وأن أطل من سياج المدرسة الواطىء فتكـــون هـــي، هنـــاك، فـــي إنتظاري   لاأدري أي شيطان دفعها لتوريطـــي لأفعـــل ذلـــك الشيء الأحمق، ولا أدري أي غبـــاء تلبســـني وانـــا أطيعــها صاغراً.

حين تسلقت السياج ونظرت باغتتني جوقة من الفتيـــات المترقبات اللواتي صرخن دفعة واحدة بإبتهاج ممزوج بالانكار.

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وكان علي أن أهرب تلاحقني ضحكاتهن الساخرة، وواحدة منهن تجرأت - ربما كانت نجوى - وقذفتني بحصاة كادت تشج بها رأسي. وابتعدت وأنا مملوء بالغيظ والحقد لكن التماعة الحزن في عينيها وهي تعبّر لي عن أسفها في اليوم التالي جعلتني أغفر لها وأنسى

وكان علي أن أنسى بعد ذلك من دون أن أغفر ما كان بمقدوري أن أغفر، والجرح يمتد، وهي تنأى في أغوار السنين

لم تودعني نجوى لم تشر، حتى بكلمة يتيمة، الى أنها ستختفي من حياتي كان آخر لقاء بيننا هادئاً، شفافاً كما لو أنه الحلم جلست قبالتي على جذع شجرة ساقط ، ووقفت هناك أنحلُ في بسمتها قبل أن يدهمني الطوفان اكتفت بكلام قليل، ولمسة حنان، وقبلة دافئة على خدي، ومشت على رسلها فوق العشب، وقبل أن تغيبها الأشجار التفتت ملوحّة أصابعها السمر الدقيقة تأرجحت في الهواء ثم تقبضت خلتها تبتسم فابتسمت، غير أنني أدركت بعد ذلك بزمن طويل أنها كانت تبكي استدارت فأخفاها المنعطف عن ناظري خمس عشرة سنة .

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

دهشت، في اليوم التالي، لأن أباها لم يكن هنـــاك، مــع عربته على الرصيف، ينتظر خروج الفتيات ليبيع لهن الحلـوى ويحدجني. وذعرت، لما خرجت الفتيـات، ولـم تكـن بينــهن نجوى. وراح العالم ينهار في داخلي لما تأكدت من أن نجــوى لن تكون هناك معهن ثانية

ـ ٣ ـ

الذي خط الآس، ولاأحفل لغناء الفاختـــة علــى ســلك الكهرباء.. لاأعد الأعمدة التي حفظــت بإمتدادهــا اللامكــترث دورة الترقب والعذاب، ولا أمنّي الروح بلقاء نجوى نجــوى التي تركتني للذهول وانبكاء، وأنا أصرخ بوجهها

ـ كان يجب ألاّ تأتي !!

أسيرُ بظهر منحن، وفكر شارد، علني أستعيد - ولو بعد سنين طويلة - السلام المؤسي، الذي لـــم تظــهر نجــوى الا لتنسفه بضحكتها الرائقة المشاكسة، وحضورهـــا المفــاجىء الباهر

١١/١١/١٩٩٩ .جريدة الثورة

مكتبة ماجد الجيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

خـرائب مـريـم

ـ ١ ـ

البنت التي تركتني لخرائب الأحلام منذ ذلك النهار الماطر القصي مازالت تعاود الكرّة، وتمعن في التشتيت والتدمـــير تشتيت أحلامي وتدميرها انها معي مثل هواء حُشر في الرئــة والقصبات وذاب بالدم وبقي يتعتق، ويضللني

هي ربما ماتت، أو ربما لم تمت، لكنها يقيناً كانت تجعـل الموت يحل في كلما رأيتها   قال صديقي

ـ هي جارة لنا إسمها مريم

ونصحني ((كلمّها)) فأنفقت سبع سنين بحثاً عن الكلمــة الأولى/ الكلمة السر حتى استفقت ذات ضحي لأكتشـــف أنــها رحلت أو خُطفت أو تلاشت أو انحجبت   وقبل أن التقط الكلمة/ الوهم وأطلقها صراخاً متصلا لحوحاً يائساً فطنت الـــى مـــدى الخراب وهوله.

قبل عشرين سنه اختفت مريم، ومنذ ذلك الحين تعيد حواسي المرتبكة خلقها في النساء اللواتي اصادفهن، فيهربن من عشقي الهائم المستفحل إذْ يكتشفن انمساخهن في واحدة قصية خربت أحلامي تحت رذاذ المراهقة والشعر ومضت الى ماوراء الصمت والغبار.

ـ ٢ ـ

كاتبةً نصحني صديقي

ـــ اكتب لها

قلتُ: لم لا؟

من عسل ونبيذ واشذاء ورؤى ساحرة صغت كلماتي، ولما أبصرت مريم خارجة من بيتها وعلاّقة التبضع بيدها سبقتها بعشرين أو ثلاثين خطوة ووقفت في منعطف الطريق بين الحي والسوق

إنتظرتها والورقة / التميمة بين أصابعي كانت تتهادى ببقايا نزق الطفولة واحتدام النداء السار في الشرايين، وكلما اقتربتْ كان نبض الورقة بين أصابعي يشتد

ــ مــ .. مــ مــر يــ م م .

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

ترددُ الصوت ظلَّ غائراً، وذراعـــي التـــي أردت رفعــها عصتني، والنبض همد في جسد الورقة، وغابت مريـــم بيــن الخلق في السوق.

كان عبثاً مضحكاً انتظارها ثانية، لكنها بعد ايام جعلـــت تنثر الضحكات والعياط اللذيذ من أراجيح العيد

من غفلتها سرقتها – تلكم الضحكات – ومـــلأت منـــها سلالا كثيرة، خبأتها في الأعصاب والمسامات في شـــعيرات الدم وتحت الجلد

سبع سنين من الخداع ولم أرعوي سبع سنين كـــانت مؤونة راهب ضال بقي يتذكر البنت التي كانت عيناها واسعتين أليفتين تخطر مع حشد من البنات المزقزقات الخارجات لتوّهـن من المدرسة، والكتب يحملنها على براعم الصـــدور، ومطـر اطلالة الخريف يهمي

— ٣ —

ما كانت مريم تتمنع أو تصد أو تنفر، بل لأن العالم كلـــه كان الفاصلة المتأينة / المكهربة بيني وبينها .. كان الآخـرون هم الهوّة، وكنت أحلم دوماً بومضة حريـــة .. بغابـــة حريـــة تضمنا سعاً في منأى عن الأذى والفضول

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

كنت خارجا ذات صباح فباغتتني بقدومها وحيدة لم تكن ثمة الا البيوت الموصدة الأبواب وأشجار الطريق ، وكنت أتلفت خائفاً خجلا، مختنقاً بتحية الصباح لئلا يكون الآخرون يتلصصون ولم أتنبه إلاّ وقد فاتت الفرصة وهي تجتازني بلامبالاة وتبتعد تبتعد

قلت؛ إن الآخرين يسكنونني ويشلونني

وصرت أمني النفس بفرص أخرى أحلم وأحلم حتى اذا غادرت المدينة الى غيرها ادركت أن هباء سبع سنين لن يثير في الذاكرة إلاّ دوامات الندم، والاحساس بالخسران

عشرون سنة بعد رحيلها وأنا أتنقل من دنيا إمرأة إلى أخرى.. أسرف في الأكاذيب والوعود الهشة أستقدم طيف مريم فتكتشف النساء لعبتي المجنونة فيرمين بي إلى قارعة الضياع

كنت أناديهن ((مريم)) حبيباتي المفترضات وعابرات السبيل وبائعات النسيان اللواتي فشلن فشلا ذريعاً في نزع قناع مريم عن وجوههن كان القناع وحده يجذبني، أما ما تحت القناع فلم يكن سوى العدم والخواء . لذلك كنت أصرخ في وجه كل واحدة منهن

ــ كوني مريم

وكن يتملصن من صحبتي، أو من بين ذراعـــيّ، وفــي عيونهن ذلك الحكم العجول ((معتوه أحمق))

واحدةٌ حذرتني، وأخرى ضحكت حتى وقعت على ظهرها من الضحك، وغمغمت إحداهن

ـ غبي مسكين

والأخريات ولين الأدبار من غير رجعة

عشرون سنة بأيامها وساعاتها الونيئة وأنا أبحث عـــن مريم في الوجوه وصور الاعلانات في خطـــوط الرســامين وبين طيات الكتب وفي الكلام العابر للناس عشـــرون ســـنة تضاريس من انقاض وخراب شاخص، ومريم تغور أكثر وأفــق الخراب يتسع

تقمصت مريم اللحظات، وتغلغلت في تضاعيف الأمكنـــة فتشكلت جغرافية ملتبسة همت في شعابها من دون أدنى أمـــل في الخلاص، وكنت أعي ذلك، ولم أكف حتى هذا اليوم

ـ ٤ ـ

اليوم كان المطر الساقط عنيفاً ولجت البيت المتداعــي القديم الذي طالما آواني، ومعطفي يقطر ماء، وشعري ولحيتي

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

كذلك.. المرأةُ العجوز - صاحبة البيت - أشارت إلى غرفة ولم تتكلم

دخلت الغرفة .. في العتمة الرطبة لمحتُ بعد حين إمـرأة مستلقية على سرير حديدي تحدق في خشب السقف المسود لم تلحظ وجودي، أو لعلها تجاهلتني

همست: مريم

التفتت   اقتربت منها والرؤية تتوضح شيئاً فشــيئاً بان المدار الواسع المصفر لعينيها

قالت   أتعرفني ؟

قلت   مريم ؟

قالت   أنا مريم

كانت وجنتاها غائرتين مظللتين .. جلست علـــى حافـة السرير لتُظهر قدّاً ناحلا محدودباً

ـ أجلس

لبثت واقفاً أتملى خراب عمر قاحل مديد   هذه المــرأة دون غيرها ـ من النساء كلهن اللواتي عرفت منـــذ عشــرين سنة لم تخفِ يبوس وجهها خلف قناع مريم   مريمي / بنــت النهار الماطر القصي

ـ أغلق الباب .. تعال

لم أتحرك   كنت ذاهلا وعلى وشك الانهيار

ـ من أنت ؟

ـ ألا تذكرين ؟

ـ ربما

ـ إذاً، قولي لي   منْ   أنا   من أنا؟

ابتسمت   ابتسامتها كانت من رماد

ـ مخبول آخر

وهي تهم بخلع ثوبها صحتُ ((لا)) وخرجت راكضاً الـــى الريح والمطر، وكنتُ لأول مرة، منذ زمن سحيق، أحسني بـــلا أحلام آيلة الى الخراب

٤/٤/١٩٩٩ .مجلة الصدى (الاماراتية)

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الآخـــــر

طرقات منغّمة، ملحّة تستثير عَجــزي فــافتح البـــاب
إبتسامة الحزن، وتلك الإيماءة التي لا تُرد تجعلني أفسح لــه
يدخل أخاله قادماً من أعماق الليل مــن ضبابـــه مـــن
تضاريس أسراره.. لا اسأله من يكــون ؟ ولأي ســبب أتـــى؟
كأنني أعرفه مذ ولدت مذ أدركت ما في وماحولي أقدّم له
الشاي يرشف منه على مهل وينثر تتابعاً بديعاً من تعليقــات
ساخرة، شائكة. ومنفضة الســـجائر تمتلـــىء رويـــداً رويـــدا
بالأعقاب برماد الألم ، والأسف على آمال لم تتحقق، والنـــدم
على ماتناءى وغاب

بعد ذلك يتمدد على البساط ويغمـــض عينيــــه أتملـــى
وجهه التقط من خلف لحيته الكثة ملامحه يشدهني شيء
فيه لا اقدر على تحديده، لكأنه يشبهني، ولكـــأني أقـــرأ علـــى
جبينه المحزز العتيق تاريخي العكر ، المبهم أتناول المرآة..
أغرق فيها وهناك أكتشف بأن هذا القادم الغريب هو توأمـــــي،

ربما   ذلك الآخر الذي هرب مني في زمن لم أعد أذكره
ذلك الذي أخذ الأشياء كلها بما فيها الذاكرة ومضى
هاهو قد عاد

يفيض بي الشجن والوجع، وتمسك بي رغبة حارة كاسحة في أن أوقظه وأسأله، لكن من غير اللائق أن أقتحم الساعة – وهو نائم في سلام – طمأنينته   غداً عندما يستيقظ سيكون واضحاً   سأرغمه على أن يكون واضحاً يجيب بصراحة عن أسئلتي .. من هو، ومن أنا ؟ ولماذا تركني في ذلك اليوم البعيد؟ ولماذا رجع الآن؟ هل جاء بعبء الخسران والمرارات؟ أم تراه يخبيء ذلك الكنز الذي طالما حلم به والذي ربما غادر في البدء بحثاً عنه ؟

أهو هو - شقيق روحي – أم وهم آخر يلتحق الليلة بسلاسل الأوهام ؟

أغطيه   يفتح عينيه   يقول ؟

ـ ليس بي حاجة لذلك

اقول   ألم تنم ؟

يقول   لا .. لم أجيء لأنام، بل لأنتشلك من هذا العفن

أقول   وإلى أين تريد بي ؟

يقول   الى البعيد   البعيد

أقول: ولكني شبه عاجز   كيف أستطيع السير ؟

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

يضحك وينتصب واقفاً .. يلف ذراعيه حول جذعـــي ، ويحملني مثل طفل   أشعر وكأنني طفل حقاً .. طفـــل صغـير يعجبه حدّ النزق أن يُحمل ويُضم إلى صدر ينبض بقوة

يفتح الباب ويمشي .. خطواته صارمة، واثقة، ونظراتـه كذلك، والشارع خال إلاّ من أعمدة النور والضباب والصمـــت، وبين ذراعيه أحسني اتهاوى في فراغ مخملي دافـــىء، بيـن أطياف ملونة، ساحرة، واغفو   أغفو

٢٤ /٥ / ١٩٩٦ جريدة العراق
١٩٩٦ مجلة (عشتار) الفلسطينية

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

صـورة لإثـنين

ـ ١ ـ

أمامه فنجان قهوة مرّة، وورقة طافحة ببيــاض محــيّر، وصورة لإثنين يبدوان له غريبين يرنوان لعدسة الكــــاميرا في عيونهما ألق، والأصابع ماضية بين الأصابع

إكتنفه إحساس بجزع مضبب .. رشف مــــن الفنجــان، ورسم على الورقة خطوطاً منحنية تتقاطع بتعقيد حاد حــدّق في الصورة؛ انهما غريبان حقاً إمرأة في إهاب من غموض، عيناها واسعتان، ورجل يُفترض أنه زوجها أو حبيبها. وفـــي العمق ممرات تضيع بين اشجار شاحبة

تساءل ((أتراها تحبه ؟))

وفكر: ((ربما كان الرجل لسبب ما يبعد عن ذهنه مثــل هذا السؤال))

حين أخرج الصورة من فوضى أوراقه فـــي الصنــدوق العتيق وعاينها للمرة الاولى أدرك أن هنـــاك مــايحفزه علــى الكتابة عن هذين العاشقين. ومنذ ساعات وهو ينقَب في كهوف

الذاكرة، ويرحل عبثاً في براري الخيال، ويحتسي فناجين القهوة علّها تسعفه، فلا تسعفه.

إنشداهه بالصورة بثَّ فيه هواجس مبهمة

((أتراني التقيتهما   ثم ماالذي يشدني إليهما؟))

كان يشعر وكأن سحابات من كلمات تتدافع وتتصادم في رأسه تعاني مخاض الإنهمار   ويعسر الانهمار

في أية طبقة من الذاكرة يتواريان؟ ..لربما صادفهما ذات مرة في كافتريا أو متنزه أو حافلة أو على ضفة نهر   لربما حسدهما يومها. وقد يكون راقبهما بعض الوقت ونسيهما بعد دقائق. وصار يرى انهما يخفيان شيئاً ماوراء الحاجز الشفاف للألق.

حاول أن يغور في المملكة العصبية لكليهما، وميّز شرخاً لامرئياً في مساحة الأمان الذي يوشح الصورة، وبات مثل عرّاف يمعن النظر في الخطوط القدرية على جبينهما، ويفك الرموز

((كائنان التقيا ليفترقا))

هكذا خمّن، وتساءل: ((أهي التي خذلته أم هو الذي خذلها؟))

وشعر أنه يمسك بأول الخيط   أو بآخر الخيط .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

رفع فنجان القهوة وأفرغ في فمه الثمالة الباردة التصقت الحُبيبات الفجة بلسانه فراح يمضغها بلامبالاة حملق في الصورة.. شبه العتمة الذي احتوى الاشجار أوحى إليه وكأن عاصفة عاتية على وشك الهبوب أمسك بالقلم وانتهك براءة البياض

(وتهب العاصفة تأتي بالغبار وبالغيوم الثقيلة يتكسر الدفء فترتعش الفتاة يخلع الرجل قمصلته ويُلبسها اياها فوق البلوزة الزرقاء شجرة التوت الضخمة تنفض أوراقها اليابسة قرباناً للمطر الذي بدأ يهطل، ولاتزال الفتاة ترتعش ماذا يفعل وليس في الجوار سقف يمكن الاحتماء تحته في نظرتها استنجاد اصم في صدره ندم وشعور بالعجز يتناول كفيها انهما باردتان، ويشرع بدعكهما لا فائدة .. يحررهما، ويعانقها في العاصفة)

((أيمكن أن يكون إختلاق هذا الحدث من شطحات الخيال؟)).. دعك جبينه باطراف أصابعه

(حصل ذلك قبل خروجهما من المتنزه بدقائق قرب حوض النوافير ..) ياه أتراه يتذكر مشهداً من فلم سينمائي، أو رواية نسي عنوانها؟ أم أن هذا كله كان قد جرى وهو شاهد في يوم ما بعيد بعيد جدا؟ أم ماذا؟ واقتنع

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

بانه لابد أن يكون قد تعرف عليهما في زمان ما .. في مكـان ما ولكن: في أي غور؟ في أي متاه ؟

وكتب

(ــ أنتِ فاكهة القلب

تضحك

ــ أنتِ قمر النساء

تضحك تضحك .. تضحك ..)

جلجلة ضحكها صفعت ذهنه إرتبك أعـاد قـراءة الكلمات دائراً في الدوامة الصاخبة للضحك

((فاكهة القلب قمر النساء) .. تهيأ لـه أنـه دأب على ترديد هذه الكلمات، أو أنه سمعها تتردد مراراً متـى ؟ كيف؟. اين؟. منْ ومنْ ؟

خطَّ أسطراً أُخر

(معها كان يريد إستحضار طعم ذلـك الجـذل الفـرح النقي المائج الذي يدغدغ جنبات النفس مثلما يلاعب الـهواء أوراق شجر فتي الشعور الذي كـان يغسـل أحيانـاً دنيـا طفولته، ولايزال يحتفظ بشيء من أثره في زاوية ما، قصيـة من ذاكرته، أو من روحه أراد ولم يفلح كانت ثمة غيـوم غريبة تأبى أن تنزاح تتجمع، لايعرف كيف، لتمدَّ في دخيلته ظلالا من قلق وتوجس وضيق ..)

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

لم يقتنع بهذه العبارات فكتب فوقها (ملحوظــة غــير ضرورية) .. تمطى على كرسيه، وارخى أطرافه مناوراً ضــد التعب الذي راح يزحف في جسده، ثم شدَّ على نهايــة القلـم وأضاف: (ملحوظة أخرى غير ضرورية)

(بين الحين والحين كان ينتابها شعور بأنها تورطت فــي لعبة لا تستطيع التنبؤ بنهايتها، في الوقت الذي لا تجرؤ علــى الإنسحاب منها .. لم تكن تحلم بنتيجة محددة كانت النتــائج كلها لها خسارة من نوع ما كان في دمها توثب جامح لايقر له قرار، ليس نحو هدف معين، بل من أجل الاســتمرار فــي اللعبة سحر اللعبة هو الذي كان يجذبها إليه - إلى الرجل - إمرأة تضخمت في أعماقها ((الأنا)) يمزقها الشك والغيرة ويقودها الى حقد مدمر..)

وتملكه الاجهاد مدّ ساقيه وألقى برأسه الى الوراء أغمض عينيه، ولعله أغفى قليلاً، ثم انتفــض بصفــاء ذهــن خاطف، وكتب

(ــ أنا خائف

ــ ممَّ ؟

ــ لا أدري منكِ ربما

ــ منى أنا ؟!!

ــ لاأدري ..)

تصادى الحوار   بدد جزءاً آخر من القتامة في ذهنه فأصبح في مقدوره التحليق صعداً .. قلب الورقة وكتب على ظهرها بسرعة لاهثة

(ضغط على زر المصعد مرات ومرات من دون جدوى

قال:

ـ لنرتق السلم

ـ هيا

راحا ينهبان الدرجات الحلزونية اللابدة في السكون، وبغتة توقف بين الأرض والسماء فوقفت

ـ ها ؟!

أخذ كفيها بين كفيه

ـ قولي لن نفترق

ـ لماذا هذا الكلام ؟

كرر برجاء

ـ قولي لن نفترق

ثبّت عينيه في عينيها فرأى أجمات استوائية خلابة لايعرف ماذا تخفي ..)

كرّة أخرى أمسك بالصورة   أنعم فيها النظر   في الصورة قوة سحرية تحرّض فيه جنيّات الكتابة   بين الاشجار شاهد عشاقاً، وشاهد أطفالا يلعبون بكرات ملونة وشاهد

مكتبة ماجد الحيدر/كتب كتب كتب

عصافير تحط وتطير   أسرته الرؤيا الفاتنة   أعادته الـــى ضفة منسية   رقّص قلمه بين اصابعه قبل أن يكتب

(قاما مبتسمين   شكر الولد الذي التقط الصورة وتناول منه الكاميرا .. سألها

ــ جائعة ؟

هزت رأسها

ــ لنبحث عن مطعم في المتنزه

ــ لا .. لنخرج

ــ كما ترغبين

سارا معاً، وهبت العاصفة)

الصورة أمام ناظريه استحالت إلى قطعة غائمة، اختلطت فيها الألوان وساحت الأبعاد .. شعر بالدوار، وبالخوف كما لـو أن كهوفاً وحشية يستميله الى ارتيادها دافع لا رادّ له

((أية لعنة في هذه الصورة؟   رجل وإمـــرأة يجلســـان بألفة على مقعد في متنزه   لاشيء غير عادي فيـــها ســـوى تأثيرها المربك على الذهن   أي شيطان جاء بها إليَّ ؟))

وفجأة تذكر بأنه كان قد عثر عليها في صندوق أوراقـــه القديم:

((ولكن من الذي وضعها هناك ؟!)) .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

كانت دهشته عارمة إذ لماذا لـم يسـأل نفسـه هـذا السؤال من قبل ضغط على صدغيه بالسبابة والابهام مـن دون فائدة قام ومشى .. كانت ركبتاه لا تقويـان علـى حملـه، وعرف أنه سيسقط مالم يسارع ويتوكأ على شيء ما تقهقر خطوة، وفي الثانية تهاوى على المنضدة وتشبث بها بـدت له الأشياء مائلة بما فيها الجدران، وتهيأ له أن الغرفة ستنقلب لتطوح به وتحطم جمجمته، وداهمه الاختناق

بعد دقائق تحامل على نفسـه وسـار باتجـاه النـافذة، وخطواته ماتزال مضطربة .. فتحها بعد أن أزاح السـتارة مسّته نسمة باردة فطن على إثرها في أي جو خانق كـان دون أن يشعر، وأحس بأن كتلة ثقيلة صمّاء مستحوذة راحت تتفتت تُطحن بعذاب .. وتأتي الريح خفقات ساخطة من الريـح لتذرو فُتاتها .. تلقي بـه بعيـداً، بعيـداً فتظـهرُ فسـحةٌ ما.........

ـ ٣ ـ

وظهرت فسحة ما، شفّت عـن حصـى نديـة نظيفـة، وممرات كانت مطمورة من عهد سحيق في منطقة غائرة أحاق بها غبار القرون غمره الانتعاش إنتعاش مباغت تحـوّل الى قشعريرة فأغلق الشباك وأسدل الستارة تراجع وطفـق يمشي في الغرفة .. كان جسده متيبساً وكأنه لم يتحـرك منـذ

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

أسابيع الحركةُ، بقدر ما كانت تؤلمه، كانت تمنحه شيئاً من الراحة لم يكن باستطاعته الكف عن المشي في التو. وعلى السجادة التي ماتزال تحتفظ ببعض من رونقها الفاره القديم صار ينقِّل خطواته القصيرة المتأنية وفجأة وجد نفسه ازاء المرآة

اتسعت حدقتا عينيه كما لو أنه أبصر صورة وحش منقرض فيها، لا صورته هو وارتسمت على ملامحه دهشة ممزوجة ببلاهة

ـ يارب السماوات

تقهقر خطوتين ثلاثاً عثر بالكرسي أمسك بالمنضدة.. تناول الصورة مبحلقاً فيها كانت حدقتا عينيه الآن أكثر اتساعاً انقبض صدره وزحف الجفاف في حلقه ولما أراد أن يزدرد ريقه لم يكن ثمة إلاّ مضغة ضئيلة جداً من سائل مرٍّ لزج.. وكرر:

ـ يارب السماوات

وخيل إليه للحظة أنه ربما يكون قد تلبس وجه هذا الرجل المتيّم في الصورة أو تقمص روحه وهو يحاول أن يكتب عنه

((يالهذا الشبه المفزع))

وتمنى لو أنه كان يحلم، وراح يكابد على حافة الاغماء.. يجاهد عبثاً من أجل السيطرة على البقية الباقية من

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وعيه.. ارتمى على الكرسي   أفلت الصورة من يده وسحب الورقة   لم يجد ثمة الاّ لطخات دكناء مترجرجة وكأن قدحاً من الماء سُكب عليها

الوهن الذي استولى عليه جعل ساقيه ترتعشان، وفكر بأنه في حاجة الى النوم   زحف باتجاه السرير   امتدت اصابعه الى زر النور الكهربائي واطفأه، وعندما استلقى على ظهره كان الظلام هائلاً في الغرفة

— ٤ —

حوله، على السجادة، أكوام من أوراق مبعثرة، وصندوق قديم مفتوح. وأمامه على المنضدة فنجان قهوة مرّة، ومجموعة من الصور لرجل وإمرأة لم يعودا غريبين عليه، بينهما عراءّ من حزن، وأحراش من ذكريات، وطوفان من أسئلة شائكة واوراق بيض، كثيرة   وصمت

سبتمبر ٢٠٠٠ مجلة (قصص) التونسية

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مقايضة

لم يكن خاطراً عابراً، أو حلماً، أو تذكراً مفاجئاً، أو شبح فكرة ذلك الذي جعله ينقطع عن الكلام الحميم معها، وعن المزح التي كان يتبادلها مع المودعين، المحتفين بهما، والذين إزدحموا قرب نافذة عربتهما وماكان يتأمل بمرح، كما فعل قبل قليل، ضارب الطبل ونافخ البوق اللذين كانا، الآن، في ذروة إنشغالهما الجدي مع آلتيهما

وإذا كانت هي قد إعتادت منه هذا الأمر مذعرفته فإنها، في هذه المرة أيضاً، حاولت جلب انتباهه الذي انصرف حتماً إلى شيء آخر، فأمسكت به من معصمه، ولم يلتفت إليها ففي هذه اللحظة خرج رجل كهل من وراء القضبان المسورة للسكك واندفع من بين البقية الباقية من الباعة وموظفي المحطة والمسافرين، على الرصيف باتجاه القطار وفهم الشاب أن الكهل وصل متأخراً جداً.

كان القطار على وشك المغادرة فلم يتح للكهل أن يتأنى ويلتقط أنفاسه فطفق يصيح وهو يركض بمحاذاة النوافذ حاملا صحفه عالياً، وقبل أن يبيع نسختين أو ثلاثاً حدس الشاب إن الكهل كان مرعوباً من فكرة أن يمضي القطار ولا يبيع نسخه كلها

رن جرس الرحيل   تجشأ القطار وتململ وأطلق صفارته فأطل الشاب بجذعه من نافذة العربة مراقباً الكهل بائع الصحف   كان الكهل لايزال يركض لما دارت العجلات الحديد وتزحزحت العربات عن نقاط إستقرارها وراحت تسير

في البدء كان يركض اسرع من القطار لكن هذا لم يدم طويلا.. إخترق زحام المحتفلين بالزفاف الذين صاروا يلوحون ضاحكين، صارخين من النشوة، وأضحى قريباً من نافذة العروسين.

أخرج العريس الشاب محفظته، واستل بسرعة رزمة من النقود ناولها للكهل، واخذَ منه النسخ كلها   كانت صفقة جرت الموافقة بشأنها خلال ثانية واحدة عندما التقت العيون وتفاهمت وقررت ونفذت

ضحك الشاب بسعادة، وتوقف الكهل بعد خطوات قليلة لاهثاً، مثل علامة تعجب، ينظر الى القطار الذي صار يبتعد،

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

بينما عقلت الدهشة لسان العروس التي لم تستوعب، كما الكهل، ماحدث

سألت عريسها متلعثمة

ـ ماهذا الذي فعلته ؟

ـ مقايضة في أوانها

ـ أنت غريب

ـ ولماذا ؟ وجدتها فرصة مسلية للاحتفال، وعلى طريقتي.

في هذه الآونة رأى أولاداً يلعبون الكرة صاح بعروسه

ـ راقبي ما سيحصل

ورمى عدداً من النسخ في الفضاء فترك هؤلاء كرتهم وأقبلوا راكضين ليتلقفوا هذه الأوراق المجنحة

ـ أليست فكرة بهيجة ؟

ـ وغريبة أيضاً غريبة جداً

قذف الشاب نسخاً أخرى عندما مرَّ القطار الى جانب سوق شعبية، وصاح جذلاً لما رأى الناس يدعون أشياءهم ويهتمون بأمر الصحف، قالت

ـ مالذي سيقوله هؤلاء عنا ؟

ـ مجانين .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وقهقه بصوت عال

أما النسخ الأخرى فجعل الهواء يلتقطها من بين يديه المفتوحتين حالما أبصر مجموعة من الفلاحين يحصدون حقل حنطة خارج المدينة

حلّقت الأوراق العريضة فوق السهل الذهبي، فقال وهو يضع يده على كتف عروسه

ـ انظري، كم هو رائع هذا المشهد؟ كلمات طائرة وفلاحون يجرون وقد تركوا الحصاد أملاً في اصطيادها ثم هناك تلك الخلفية الزرقاء النقية ومطر النور

كانت المرأة ماتزال مذهولة، لاتستطيع أن تتمثل دراما هذه الفاصلة غير الاعتيادية، وكررت كلمتها

ـ غريبة

ـ ومالغرابة في هذا ؟

ـ من يفعل مثلما فعلت، وفي يوم زفافه ؟

ـ آه يبدو أنك لم تصدقي ماقلته لكِ يوم التقينا للمرة الأولى أنني شاعر

ـ ومجنون !!

ـ أجل ومجنون شاعر ومجنون ما الفرق ؟ ولكني ابتغيت شيئاً لا يُنسى

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

ثم ضرب كفاً بكف قبل أن يسحب عروسه بعيــداً عــن النافذة، وقال آسفاً

ــ تباً، كان يجب أن أبقي معي نسخة لأقرأها

٢٨/٦/٢٠٠١ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

ملاحقة

بدد الضباب شبحه المتوغل فانكفأت باكية، ثم غطى زجاج النافذة بياض معتم كثيف وتوارى العالم

هي جالسة مذ كان يمرر أصابعه في فوضى لحيته الخشنة ويهيم في الصمت. وعندما قالت

ـ تكلم

إحتضن كيانه وقام ليغادر، حتى غيّبه الضباب

كانت لائذة بقلب الضباب، تهز راسها فتتراقص جديلتها الطويلة المنحدرة لتداعب ردفيها الصغيرين، والصبية يبحثون عنها.. تسمع زعيقهم فتنتشي مهتاجة، حتى إذا أطلقت صرخة مكتومة دون إرادتها أقبلوا نحوها فابتعدت أكثر إلى نقطة أعمق في غيابة الضباب))

وذلك حلم بعيد لن تدعه يفلت من سطوة ذاكرتها كانت قد مرت دقائق وهي تلج الضباب، تراوغ الصبية وهم في أثرها، تتمنى لو يمكث الضباب طوال النهار لتستمر اللعبة

فاجأها شبح الرجل وهو مايزال يتوغل حثيثاً ثمة في الجوار اشجار بردانة وقوس من خضرة الآس

ــ إلى أين ؟

لم يتكلم سارا جنباً إلى جنب

ــ كان ينبغي أن تبقى

لم يتكلم

ــ هذا الضباب يذكرني عندما كنتُ صغيرة

ــ عودي الى البيت

كان حانقاً وقفت واغمضت عينيها، غير أنه لم يقف قالت

ــ لن أعود إلى البيت

لم يسمعها، وحين فتحت عينيها ثانية لم تعد تراه كان عليها أن تخمّن ((إلى أية جهة سار؟)) الصبية لاحقوها طويلاً لكنه هو الذي عثر عليها أخيراً، أما الآن فعليها بملاحقته

شعرت بمتعة فائضة باغتت راسب مخاوفها حدست إنها ستلقاه إذا ما انطلقت حالا في اتجاه موازٍ لقوس الآس، فانطلقت وجديلتها تتراقص، تداعب ثراء ردفيها

٢٢/٨/١٩٩٣ جريدة بابل

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

غـفـران

محتقنٌ هو الليل، وأحلامي على بعد لاهـــب مـــن هـــذه الجدران البغيضة أفتح النافذة أرسل البصر إلـــى حيـث الاضواء الراقصة في قلب الظلام اسأل كراسة تخطيطـــاتي عن طرقات اضعتها، وعن مسافات لـــم تخلّـف إلاّ توهجـات حنين، وبقايا دهشة قديمة، تومض أحيانـــاً فتـتركني أسـيرة شجن، كأنني لعبة بين يدي طفل نزق. أو كائنة كان ينبغـي ألاّ تذهب مع الريح

لكنني أنا التي رحلت معه الى آخــــر الشـوط، رسـمت ملامحه، لا على القماشة وحدها بل في المنعطفات كلها التـــي تقطعها أوردتي.. منحته الحيـاة والحريــة معـــاً ابتكرتـــه، وأطلقته في الفضاء الفسيح لروحي اخترتـــه جســراً علّـــه يصلني بأسباب البقاء.

قلت؛ هو لغة المنفى، وقصيدة للأفق الموحـــش، وهـــو الجرح المزهر على حد السكين، يأتي بالبسمة الحانية، وبيـــن

اصابعه عسل الوعود. فأنّى لي يومها أن اكتشـــف الاحبولـــة وأنا مسكونة بالحلم - الوهم، ومنذورة لسلام كاذب – مكين

في ظهيرة غابرة، حزينة أراني قصاصة كتب عليها بأني كونه الباذخ، وسماؤه الرحيبة، وسراجه فـــي ليـــل العـــالم وطلب مني أن أخرج معه، فقلت: لا، قبـــل أن أرســـمك مـــرة أخرى، وحين غادرنا المرسم إلى مساء المدينة المزدحم نسيت القصاصة في مكان ما. ولاأدري إن كـــان غـــافلني والتقطـــها ثانية.. كان، كما لو انه يتجنب ترك ايٍّ أثر يـــدل عليـــه مثـــل اللصوص المحترفين أو، القتلة الذين لهم بـــاعٌ فـــي دنيـــا الجريمة، وعندما سألته عنها في مابعد، قال، ان علي الا ابحث عمّا يربطه بي الاّ في عينيه كان مترعـــاً، دومـــاً، بـــالكلام الجميل

غير أنه كان يقودني – أنا العمياء – إلى المتاهـــة مـــن دون أن أفطن، متنكرا لساعاتنا التي نقشناها معـــاً، باصأبعنـــا على شرشف العمر رحلاتنا بين محطـــات نعرفـــها، وأخـــرى لانعرفها تسكعنا في الشوارع الضاجة حماقاتنا الصغيرة.. تدلل كل منّا على الآخر، وأحلامنا التي كـــانت بـــلاداً عـــامرة وضيئة ..}

هكذا، باغماضة عين قاسية، نسف كل شيء تاركاً ايـــاي في الغبار، وبين الانقاض

المرضة التي تحقنني، في كل ليلة، بالمصل المـهدىء باتت تتخلى عن لامبالاتها تجاهي كانت في الايـام الاولـى ترمقني ببرود لا يخلو من ازدراء خفي، ومن بعض الاشـفاق على إمرأة حلوة دفعها العشق الى حافات الخبل، أو إلى هاويته المظلمة السحيقة

كانت تفتح الباب، وتنهي عملها بسرعة، وتخـرج مـن غير أن تنبس بكلمة واحدة. ولم تكن تدري إلى أية درجة كنـت أنا بحاجة الى من يكلمني، لا من أجل أن يواسيني أو يعظنـي، بل لكي أستعيد كينونتي، والملم شظاياها بعد أن بعثرني ذلـك الرجل الذي أبدعني فراشة هائمة في أكوان قصائده ليسـلّمني بعدها للحريق

تتلبس المشاهد، ويتعرج نسق الحكاية - حكايتي التـي تاخذني في منسربات شتى ، كما الضوء الذي يتبدد في الزوايـا ولا أدري كيف أنقذه أنقذُ ذاكرتي من النزيف والموت

في الهواء، وتحت شمس الله في قلب المدينة عرضتُ لوحاتي كان حدثاً صادماً، وطوال الوقت رحـت اقـرأ ردود فعل المارة، كل اولئك الذين وقفوا صامتين، مبـهوتين كأنمـا قُصّت ألسنتهم وأمسك بقلوبهم الخوف، بل قل الرعب رعـب فتاك صار يصلّب قاماتهم، ويجعل الشرر يقدح مـن عيونـهم التي كانوا يصوّبونها الي حالما ينظرون إلى لوحاتي كـانوا

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مبهورين فزعين.. كانت اللوحات كلها فضاء لكائن واحد لرجل واحد هو.. هو .. كائن مملكتي ورجلي هذا الرجل الذي عبّرت عن ولهي الكافر به وأنا أُحيطه بلمسات حنان لاتُخطىء، وحب يجرف في طريقه كل شيء إمرأة واحدة إقتربت مني وقالت هامسة

ـ مسكينة أنتِ لا أحد يستاهل مثل هذا الجنون لا أحد.

قلت لها: لا أحد يهرب من مصيره

قالت: أنقذي نفسك اختاه أنقذي نفسكِ قبل فوات الأوان

وانتظرته

طوال ساعات انتظرته ولم يأت .. وللحظة تهيأ لي أنه هناك، يختلس النظر من بعيد ثم يهرب .. لم يتهيأ لي وإنما لمحته حقاً وهكذا اكتشفت كم هو جبان في رفضه أن يواجه روحه في عريها.. نعم، أنا لم أخبره بنيتي على إقامة هذا المعرض قررت أن أفاجئه، وأهاتفه صباح اليوم نفسه، ولم أحسب أن مفاجأتي ستكون إختباراً حاسماً له

لم أكترث عندما دهم رجال البلدية معرضي غير المرخص وطلبوا مني أن أحمل لوحاتي التي تعوق سير المارة

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

خلال عشرين دقيقة ـ لاأدري لم عشـــرون دقيقـــة ؟ - وإلاّ سيصادرونها

المرأة التي حذرتني ســـــارعت إلـــى جمـــع اللوحـــات، وساعدها شاب طويل ـ لا اعلم إن كان بصحبتــــها أصـــلا وضعاها في حوض سيارة ((بيك آب)) دفعت المرأة أجرتـــها قبل أن تنطلق بي السيارة قالت

ـ حذار من التمادي أكثر مما يستحق حذار

الممرضة التي ولجـــت ســـني كهولتـــها إنتبـــهت إلـــى رسومي التي أخطها بالقلم الرصاص في كراسة جلبها لي أبي اخيرا أبي الذي حطم لوحاتي ذات مرة وقـــال؛ هـــذا كفـــر ومروق اتهمني بالانحراف في السلوك وشذوذ المخيلـــة، والجنون

قالت الممرضة: أنتِ رسامة بارعة

وكانت تقلّب الصفحات من دون أن تنظر إلي

ـ ولكن ماالذي جرى لم أتتِ، أخيراً ، هنا ؟

وأردفت

ـ هكذا غالباً مايأتينا إلى هنـــا مـــن هـــم مثلـــك .. رسامون وشعراء

قلت: هو شاعر أيضاً

سالت بفضول: من ؟

ثم استدركت: آه   هو .. ولكن ماالذي جرى ؟

بغتة تملكني شعور حاد بالإنقباض كما لو أن يداً سرّية سحبتني إلى ظلمة باردة، ووجدتني غير قادرة على مواصلة التحدث مع هذه المرأة التي صرت أرى حركة شفتيها، ولايصلني منها إلاّ خليط من اصوات كالنعيق

هززت رأسي، وأشرت إلى الباب أومىء لها بالخروج فوقفت جامدة مبهوتة تحدق بي، حتى إذا دفعتها خرجت بسرعة فصرت أضرب برأسي على ذراع السرير فعادت ممرضتي مع واحدة أخرى قوية البنيان أمسكت بي، ولم أحس بوخز الحقنة التي نفذت في وريدي، وكان يجب أن أهدأ وانام

* * *

بعد ذلك المعرض مرت أيام مربكة حزينة وانا أنتظره إنتظرته طويلا من دون جدوى، وكان عليَّ أن أتخطى هوّة الكبرياء وأذهب إليه

أنكر إن كان قد رآني قبل الان   بلؤم وجبن شطب مرة واحدة على مواسم خصب وجودي، وارتحالات في أقانيم الحلم والحقيقة، وذخائر ذاكرة ماتزال تملأ مذبح روحي .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

قال: انا لم أرك من قبل من أنتِ ؟

ووقف يبلع ريقه خجلا ، ويدّعـــي الحمــق والنســيان، ويتهمني بالخبل الذي وضعني على شفيره مفترضـــاً النهايــة المنطقية التي ستودي بي، وتجعله ينجو

قال؛ أنه لم يلتق بي ، ولم يقف حتـــى لدقيقـــة واحـــدة موديلا لأرسمه، ولم يكتب لي حرفاً واحداً، وانني أفتري عليه، و أعاني من استيهامات مرضية، وأعيش تهيؤات لا أســـاس لها من الواقع

قال؛ إنه لم يخذلني كما أتوهم، ولم يتركني في منتصــف الطريق لأنه لم يمش معي في أيّما طريق، وانه لـــم يغرقنـــي بالوعود الخادعة، أو يتحايل علي

قلت: لم تتحايل، بل تآمرت من أجل تدميري

قال. هات أي دليل

وكل دليل يمكن أن أتشبث به أزاله بحذاقة شيطانية لم يترك عندي أية قصيدة من تلك التي كتبها لي، واحتفظ بالصور التي ألتقطناها معاً

قال: فقط أعجب كيف رسمتني في عشـــرات اللوحـــات، وكيف عرفت بموضع الخال فوق ثديـــي الأيمـــن؟! هنـــاك إذْ وضعتُ ذلك الخال نقطة سوداء متوهجة على رســـمٍ، عاريـــاً يظهر فيه .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

قال؛ انه شيء محير، وربما كنتِ تمتلكين حدساً خارقاً،
وقدرة على رؤية الأشياء من خلف الحجب
ونصحني أن أراجع طبيباً نفسانياً
كانت كل كلمة ينطق بها نسحلني في ممـــر المأســاة ،
وتترك في قاع نفسي شروخاً وتصدعات
وبعد فاصلة حرجة رأيتني بين هذه الجدران
كنت وحدي، والمسافة بين آخر صرخة لي وهذا المكـان
ضباب معتم، وخواء عميق
سألت: أين أنا ؟
لم تجبني الممرضة وإنما سألت أسئلة لا معنـــى لــها
وحقنتني بالمصل المهدىء فعرفت أين انا ؟
وجاء أبي يحكي بمرارة عمّا أصابني
قال: هي الكتب اللعينة التي تقرأينها، وهذه الخربشـــات
التي لا تعبّر إلاّ عن إختلال في العقل
أما كيف إقتنع ــ ومالذي أقنعـــه ــ بـأن يجلـب لـي
كراستي هذه لأخربش فيها ؟ لا أعلم
والآن
كيف أشطر ((غفران)) التي ، ربما هي أنا إلى شـــطرين
ألقي بواحد إلى كهف الموت وأمضي بالآخر إلى مدن اللازورد
والكريستال والهواء البليل ؟

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

كيف تغفر((غفران)) التي، ربما، هي أنا لنفسها قبل أن يجرفها الندم الى الصحراء الشقية، حيث لا عودة مرة أخرى؟.

أفتح النافذة

النهار طوفان من ضياء مديد يباغت جسد ((غفران)) التي، ربما، هي أنا، والسماء شهقة هائلة زرقاء

همهمات البشر تأتيني، وتغمرني كما الحمّى أنيسة فأرتعش.. ترتعش ((غفران)) التي، ربما، هي انا

تدخل الممرضة .. تقف على مبعدة خطوات وقد هالها شيء عجيب

على وجه ((غفران)) ظل إبتسامة، والممرضة كانها في الأرض المسحورة العجيبة حيث أن ((غفران)) التي من المحال أن تبتسم .. تبتسم الآن

تخرج الممرضة .. تفتح ((غفران)) كراسة تخطيطاتها.. تأخذ قلم الرصاص .. تمرره على الصفحة البيضاء، ورويداً رويداً تتمثل لها قامة رجل   رجل قادم من أفق رؤيا

الأسى يصعد في دخيلة ((غفران)) التي، ربما، تكون أنا..

فتبكي ((غفران)) التي   هي أنا

٢٠٠١ مجلة (الطليعة الأدبية)

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

أفــق

بعثرت طرقي المرأة التي أقبلت من خباء القرنفلات فــي البياض المخدَّر للظهيرة   بعثرت طرقي وفاضت برؤى سعيدة تساقطت كأقراص ضوء الظهيرة البيضاء المخدَّرة على طرقــي المبعثرة التي تفرُّ ولا تؤدي إلى المرأة المقبلـــة مـن خبــاء القرنفلات، وانا أخطو باتجاه أحراش الشــهوة التــي أخالــها تلتهب في أفقي   أخطو نحو المدار المستريب فــي عينيــها هارباً من عتمه دمي إلى ذوب الظهيرة الثلجــي لأقــول لــها مايقوله الولد الولهان في السن المرتبك لإمرأة تناور بالســحر اللاعب لتلهب في مدار مستريب من دون أن تقصد أفق الولــد الولهان الحالم بأحراش الشهوة التي في عينيها

تخرج المرأة من ضـــوع القرنفــلات تكســر الظــهيرة المستوحشة فأعبر منفلتاً بجنوني صوب مداها غير أن فراغــاً مشبحاً يفصلني وأراها توغل في الزحام وأفكر لو اصــــرخ أو أمد يدي عل المسافات تُمحق بين أصابعي والمرأة التي تبتعــد

بضوع قرنفلاتها بالخيط السري الذي يصلني فألاحق أفقي المحترق بالرغبة الطافرة ولا أراها المرأة تختفي فتتبعثر طرقي أهيم في بياض الظهيرة المخدَّر وأحلم بالمرأة التي تقبل في هذه الساعة من كل يوم من خباء القرنفلات تُلبسني جنوناً قبل أن يذوبها الزحام بعيداً عن أفقي.

في الغيبوبة تسترخي ساعاتي الآماد قاحلة الى ندى القرنفل مقطوعة بشوارع تيه ومقاه تعج بالطنين تقصيني عن المساء الباذخ بطلعتها، بطلعة إمرأتي هذه التي تغادر خباءها الى الزحام في استرسال الظهيرة ثم تؤوب في شرود المساء متوجة بالسحابة الشذية والسؤال الذبيح

وحتى أجدني في مساء ناحلٍ على بعدٍ كاوٍ من أحراشها أصطاد حلماً ((لو تأتي)) ..عربات الحزن تمرق في جسدي جسدي الذي صار بلاداً تسع فوضاها نساء قارات بأكملها لكنها وحدها إمرأتي تختصر وهج نساء القرنفلات بطيف غامض يجذب أسراب سنونوات ويضج بالأمطار طيف غامض أموت لو المحه مرة واحدة يمر على شفتيها لكنه المساء الناحل وهي ستأتي بالفوح الأكيد غير مكترثة بجنوني

مساءٌ ناحلٌ وزحامٌ يتلاشى وإمرأتي تقبل ربما ببقايا ضوع القرنفلات وندى يغترب بإنكسار نظرتها أقف على الرصيف المقابل وأفقي ينطفىء أمنّي النفس بليل طويل

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

وحلم سيأتي بالمرأة القرنفلة مـــن خبائــها .. بليــل ينفجــرُ بصاعقة وحريق وموت أبيض يفترش أفقـــاً ملتبســـاً وحلمـــاً يزدهر بأكاليل قرنفل على طرقي

٢١/٣/١٩٩٩ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

انــبـهـار

دخلا معاً فاستدارت الأعين نحوهما وخف اللغط، وعندما بدءا يخلعان أسمالهما ران على الصالة سكون الموتى بديـا وكأنهما يهمّان لإفشاء سرٍ ما، أو يثأران لجرح قديم صـاح الرجل

ـ منافقون

وصاحت المرأة

ـ حمقى

وشتما باللغة البذيئة، ولم يجرؤ أحد على الرد

انتزع الرجل عصا شخص مهم، وراح يهوي بها علـى الثريات الباذخة، بينما عكفت المـرأة علـى قـذف كـؤوس الكريستال والمزهريات على المرمر اللامع، ولم يتحرك أحد

بعد عشر دقائق خرجا عاريين، تاركين شظايا وذهـولا وخوفاً وأسمالهما

كان سكون الموتى مايزال يرين على الصالة حين قـــال شاب، قدّم نفسه رساماً للمدعوين في بداية الاحتفال

ـ ياللروعة، كم كانا جميلين !!

١٢/٩/٢٠٠٠ جريدة العرب العالمية

كانون الثاني/ ٢٠٠١ مجلة الشباب

٩/٦/٢٠٠١ جريدة (تكريت)

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

تــحوّل

إلى : فراس شيباني

يدخل الـهواء الغرفـة يسـتدير ويخـرج يدخـل ويخرج.. دوامة لطيفة تحيط بالرجل الجالس إلى طاولة عليـها زجاجة خمر

المقاعد تمّحي والزهريـات وجـهاز التلفـاز، والرجـل الجالس إلى طاولته مستسلم لدوامة الهواء

السقف فوقه يمّحي والضـوء يلـوب .. يتسـاقط رذاذاً رطباً، والهواء يدخل ويخرج مشبعاً بأنفاس البساتين يـدور بالرجل الجالس إلى طاولته وزجاجة الخمر

الجدران تمّحي .. تتداخل الجهات الجـهات خضـرة مسفوحة وهواء يتلألأ، يملأ الفراغ بين صدر الرجل وقميصـه وهو مايزال جالساً إلى طاولته وزجاجة الخمر .

المقعد تحتَه يمَحي والهواء يكاد يحلق بـــه الـــهواء المحمّل ببرودة النهر النهر على مبعدة خطوات منه، وهـــو ازاء طاولته وزجاجة الخمر

طاولته تمّحي .. والهواء يضـــج بصـــداح الطيـــور الطيور تأتي مع الهواء تستدير معه تصعد وتهبط، وهـــو جالس على الأرض، وأمامه على العشب زجاجة الخمر

قميصه يمّحي والبساتين والنهر والطيور والأصـــوات تتطامن

الآن، والهواء يعبث به، يجلس الرجـــل إلـــى زجاجتـــه الفارغة عارياً، في العراء

٢٠٠٠/٩/١٢ جريدة العرب العالمية

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

حســاسـيـة

رجل مسخته الشتائم .. يشتم عندما يغلي غضباً، ويشـتم عندما يتواثب الفرح في دمه هجره الأصدقاء ونبذه الأقارب.

مصادفةً التقى بإمرأة وأحبها ودعاهاإلى الخروج معه في نزهة قصيرة

حين بدأ يتكلم أصيبت بـــالذعر .. لقــد شــتمها وهــو يغازلها.. الصدمة جعلتها ترتجف أخبرها بنبرة توسل أنـــه ماكان يقصد إهانتها، ولكن هذه هِي لغته ـ مصيبتــه، وإذ ذاك كان يشتم أيضاً

صرخت بوجهه

ـ من أين أنت ؟ قل لي .. من أية زريبة ؟

وتركته مصعوقاً، لائذة بالفرار

في تلك الليلة إعتزل في غرفته حزينـــاً، يائســـاً، وأخـذ يحطم كل شيء وهو يبكي .. ويشتم نفسه

١٣/٤/١٩٩٥ جريدة بابل

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الــرحـيـل

جاء لاصطحابي فلم أجد في نفسي الجرأة أو الرغبة فـي الاعتراض، إذْ لا معنى للإعتراض أمام سطوته الآسرة

الظلام بياض مرسل، والطريق غور طويل بـــلا أفــق إنها طريق لا نهاية لها، وعيناي تخترقان إمتدادها بين صـــف الأشجار، حيث يختلج الندى على الأوراق، والأوراق ترتعـــش على الرغم من أنني لا أحس بالهواء الـــذي يـــهب لكننـــي بردان قليلاً

قلت له: كأنني أحلم

قال: هو شيء كالحلم

قلت ستؤنس وحشتي

قال: آسف أنا مضطر لأن أتركك

قلت: لم ؟

قال: لأن آخرين غيرك في الانتظار

قلت: سألتقيهم إذن

مكتبة ماجد الجيدر/كتب.كتب.كتب

قال: لا

قلت: كيف   أنا لا أحب الوحدة ؟

قال: ليس خيارك .. ستمضي وحيداً مثل الجميع

صحت بنفاد صبر: إنه حلم .. حلم   لابد أن أستفيق لا حلم يلبث أكثر من دقائق

إبتسم بإشفاق هازاً راسه الجميل، وقفل راجعاً من غير أن يقول؛ الوداع

حاولت أن الحق به فلم أستطع   لم استطع العودة كما لو أنني ازاء قطب نافر يدفعني إلى حيث شاء هو   هو الذي تلاشى الآن

أما أنا فكان علي أن أمشي في الإتجاه الذي أراد

* * *

مازلت أمشي منذ سنوات سحيقة .. منذ قرون   الظلام ببياضه الحزين ذاته   الطريق ذاتها، والاشجار ذاتها، يختلج الندى على أوراقها التي ترتعش، والهواء الذي يحركها لا أحس به .. لم أجع قط   لم أعطش .. لم أتعب .بيد أن الوحشة تثقل عليَّ، والبرد.

التفت ورائي   أقف فيحرِّضني خاطر غامض (امش امش) فأمشي، على الرغم من أنني أعرف أنها طريق لن ألحق عليها بالذين سبقوني، ولن يلحق بي من سبقتهم . وانها رحلة ماعدتُ أؤمن بأنها ستنتهي في أي زمان   أو ستفضي إلـــى أي مكان

٢٦/٩/٢٠٠٠ مجلةالرافدين

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب كتب كتب

تــمـثـال شــاعــر

إلى: صلاح زنكنة

كما في كل ليلة، وحالما يخلو الميدان يتمطى، محتمياً بهدأة الغياب وسطوع الظلام طقطقة مفاصله الحجرية تَرعب السكارى فيهربون يحني جذعه ويهبط أسفل القاعدة يتمشى قليلا ثم يتمدد بين شجيرات الآس في الجوار ليسرِّب تعب الوقوف لساعات بلا طائل

بعد دقائق، كما في كل مرة، ستُغافل شهرزاد مولاها الملك وتتركه نائما وحده فوق قاعدتهما الأنيقة في الميدان الآخر وتجيء.. ستتمدد إلى جانب الشاعر لتُسرب مثله تعب جلوسها الطويل في حضرة مولاها سوف تغفو على كتفه قبل أن تحكي أيّاً من حكاياتها مثلما وعدته ألف مرة في الليالي الفائتة

سيوقظها برفق لئلا يفاجئهما الفجر

ستقول له: آسفة انتظرني ليلة غد

وحين ستجده حزيناً ستسأله

ـ لم أنت حزين هذه الليلة ؟

سيقول لها أخشى أن يكون مولاك قد إستيقظ الآن

ستقول له: ولكنه المرة الاولى التي أراك فيها قلقاً بهذا الشأن

سيقول لها: لأنها الليلة بعد ألف ليلة

ستهز شهرزاد رأسها الجميل وتقول

ـ وماذا في ذلك ؟

وتمضي

في الليلة التالية سينتظر الشاعر من دون جدوى، فشهرزاد لن تطل، وقبل أن تتسلل خيوط النور سيسمع وقع أقدام حجرية تقترب

مع الصباح سيكتشف أهل المدينة اختفاء رأسي الشاعر.. وشهرزاد

١٩٩٦ مجلة عشتار الفلسطينية

١٩٩٨/٦/٢٠ جريدة المستقبل (ملحق صوت الطلبة)

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

شـروع بالـصـراخ

ست سنين من الرحيل المخروم بالنسيان والخيانات، فـي مدن النزوة، وعلى أرصفة المطر والأكاذيب .. ولكن لم ؟ أمـن أجل كلمة لشدق الريح ؟

ـ من يتنصل من قدرة ؟

قلت؛ (لاأحد). ولم أفهم فبدد الحريـق حلمنـا المتعـب، ووارته الأسئلة ذات اللمعان الخاطف أسئلة السكين

إنداحت ست سنين مـن التـهويم، والمتـع المضللـة والدسائس.. كنت أقول؛ (الشيخوخة ستجرف الأوهام) ، هاربـاً من اللحظة الكائنة، المشـبعة. أمـا أنـتِ فكنـتِ تحتوينـها، وتمتصين عصارتها حد النشوة والصراخ اللذيذ

في كافتريا، على بابها السندباد يبتسم كانت البداية (من أيةِ كلية؟ أية مرحلة؟ أي عالم؟ أي حلم؟ أي جرح؟) وبقيـت أقول؛ (أية مصادفة؟)

لاأحد .. ولكن كيف ؟

هكذا كانت تحف بي أسئلة الخوف   أســـئلة الســكين والموت.

في الحرب كنت أطوي أوراق الليل وأفتحها فتشـــعيّن كنتِ الرؤيا والتميمية، واللهب المصفّى بين استرسالات القنابل ولغو النار   وعندما كنت أجيء محمـــلا بالحكايـــات والـــهدايا والدهشة كنتُ أبسط كفكِ وأقرأ فيسقط الكلام ويضيع في خطوط الغياب والوحشة حيث تتابع مفترقات الطرق ويتكاثف الضبـــاب فأسأل؛ (ماذا ولماذا ؟) فتغرقنـــي أســئلة الحــيرة   أســئلة السكين.

في ساعة نفضت غبار العمر كله حشّدنا توجهات الرغبة وأطلقناها صياحاً جذلا، وهمساً لافحاً، وتأوهات

قالت: وماذا بعد ؟

قلت: لاشيء   هذا يكفي

وكنت واهماً، على قدر مضحك من الغفلـــة   لاكفايـــة مادمنا لم نمت بعد

(كانت مسترخية إلى جانبي، وأصابعها الناعمة الدافئـــة تدب على أديم جسدي، وفجأة سكنت   رفعت رأسها

ـ ماهذا ؟

وابهامها فوق نتوء الجرح على صدري .. قلت :

ـ لاتخافي   هذه بصمة الحرب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب كتب كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

ــ ولم لم تخبرني ؟

ــ إنه شيء لا يستحق)

الشظية تستحيل الى جمرة كاوية تحت الجلد، مـــع كــل صحوةٍ للذاكرة والذاكرة تصحو مع الوحدة والظلام وصمـــت مابعد منتصف الليـــل، فتلاحقنـــي الأسـئلة تجـس نبـض التفاصيل.

(صحتُ اركضي وتقدمتها بخطوة ثم رجعت اليها لـــم أكن أعرف ملجأً في الجوار قبضت على ساعدها .. كـــانت مرعوبة، ورشقات المقاومات تهدر من فوق بنايات المدينـــة، أما الطائرة فقد ألقت قنبلة في مكان ما، قريب قالت

ــ الكعب العالي يعوقني

ــ انزعي حذاءك

وبعد ثوانٍ قلت

ــ لاداعي إنها ابتعدت، أو سقطت

ــ ومأدراك ؟

ــ هكذا هي الطائرات

عندما استعدنا هدوءنا، قالت

ــ كنت خائفاً

ــ عليك)

يحتويني المشهد (كنت الـــهث   اركضــــي   انزعـــي حذاءك .. كنت خائفاً   عليكِ، وأنتِ   أما كنـــتِ خائفـــة؟ حتى الموت   على حياتكِ   لاأدري، كنت خائفة حسب)

ويوماً اثر يوم تتسع مسافات الاشتعال والريبة، وتتناسـل الأسئلة .. تتطفل وتتحرش بالحدود كلها بما فيها حدود العقـل، ثم تترسب طبقة فوق طبقة بثقلها واستفزازيتها حتى إذا ضاقت بها الأمكنة طفت وراحت تتفجر

ـ أنت مجنون

أجل، والغبار الأحمر صدأ الروح   هذا اللفـــح الخـــانق على كف الخريف، والأفق محجوب   أما الابتسامة التي كـــانت تمحو العوالق فلم تكن سوى أكذوبة   انشوطة تكم الانفـــاس لساعةٍ أو لاسبوع   لعبة لتزجية الوقت   وكانت لحظة ألـــق في الذهن عندما قلت

ـ يوماً ما سأرجع، لكن الأيام أبداً لن تكون كما كانت أبداً لن تكون

صرخت

ـ اللعنة   لاتقل هذا

ست سنين، وثمة شيء متوار حتـــى فـــي ذروة تبددنـــا الجسدي، وتوغل بعضنا في بعض الآخر. ومهما كـــان نصـــل السؤال حاداً وطويلا كان يكف خائباً   وذلك الشيء المتـــواري

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

في مكمنه المنيع، فكان لابد أن يسقط النيزك العظيم ويشـــحب الزمن وتنحل الساعات، وأن تصيحي بوجهي (كفى) لـــترتخي أوتار حنجرتي وتُذبح الكلمات وتتناثر دماؤها الوردية حتـــى إذا ران السكون المرعب خلل فراغ الاخدود وتبعـــثرت الأســـرار واشتد حصار الأقاويل إستيقظتُ بنصف وعيي أبحثُ عنكِ عنــد حواف الكابوس لكنكِ كنتِ قــد أشــعلتِ الصحــراء وبــاركتِ المستحيل وتمزقتِ نتفاً من ذكريات وألغاز

(كان علي أن أصرخ، وكان عليها أن تبكي هراء هـذا وهراء ذاك والريح المغبرة تعجل بقدوم المســـاء تحنـــي رؤوس شجيرات الآس والورد لاأحد في الحديقة لاأحـــد سوانا وضعت يدي على كتفها وقلت

ـ يبدو أننا لا نتقن إلاّ فن ارتكاب الأخطاء

بوجوم حدقت في وجهي وقالت

ـ قل لي؛ ماالشيء الصحيح؟ ما الشيء الصحيح؟

ـ ليتني أعرف

أدارت لي ظهرها ومشت لبثت واقفاً كانت الريـــح تشاكس ثوبها وهي تغيب في الظلام والغبار)

* * *

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

يالليل الضلالات   من شق في النافذة يدخـــل خفـــاش
حاذق ويدور فوق رأسي   يلملم شتاتي فأنقض علـــى البـــاب
أفتحه، يخرج الخفاش الى الصالة   أفتح بابـــها ينســـل الـــى
الشارع فأجدني ـ في ذعري ـ صاحياً تماماً ومهيئاً للصراخ

٨/١١/١٩٩٣ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الطائرة الورقية

وتّر الطفل ذراعه وهزّها، قابضاً بأصابعه النحيلة على اسطوانة الخيط تقوّس الظل الرفيع وانكسر وهو يتسلق جدار ستارة السطح زعق الطفل وقد استهوته اللعبة لعبة الظل الذي يتهادى، مع ثبات زاوية الإنكسار ناسياً للحظة طائرته الورقية الملونة وهي مستسلمة للريح الرخية

امتدت الزرقة في ماوراء الطائرة عميقة وفتية، وغيمة بيضاء هائلة بدت مثل كبش كسول يسير الهوينا بإتجاه طائرته.

تخيل الطفل نفسه جالساً بين قرني الكبش يدنو من طائرته ويمسد عليها لكن عواء صفارة الانذار أعاده مرة أخرى إلى حيث يقف فوق سطح الدار يمسك باسطوانة الخيط فارتد مجفلا وتطوحت طائرته وكادت تفقد توازنها لتكمل دورة كاملة خطرة لولا أنه حرك الخيط فاستقرت الطائرة ثانية .

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

نقّل الطفل نظراته في الأقاصي   كان يبحث عمّا يمكن أن يظهر بغتة ليعكر صفو ساعة العصر الرائقة هذه

التقطت آذانه الهدير   هدير بعيد صار يتصادى مثل حشرجة مختنقة فتولاه شعور بالامتعاض

فكر بسحب الخيط وإرجاع طائرته لإخفائها في مكان آمن.. في غرفته مثلا، أو في مخزن المؤن، غير أنه لم يشأ مغادرة سطح الدار   وبقي يراقب السماء الرحيبة والكبش يتدحرج في المرعى الأزرق الفسيح

تضخم الهدير وبان على حافة جسم الكبش شيء أدكن ترك سحابة رمادية خشي الطفل أن توقف حركة الكبش، أو تلوث فروتها الثلجية الناصعة. ولأنه شرد بنظراته قليلاً تململت طائرته

رفع يده احتجاجا، ولحظ الحركة المرتبكة للظل الرفيع على ستارة السطح وقد إنحرف قليلا

اختض الطفل، على حين فجأة، وحدث شيء غير معقول، صاخب وعدواني   إعصار من نار وغبار ودخان، وأجسام غريبة جعلت تتطاير فتلوى وسقط على جنبه

اجتاحه خوف لاهب   لاهب كلسع الزنابير، وغارت رؤاه في الهول، إذا ذاك جثم على العالم سواد موحش حزين

كبر فيه القلق على طائرته واسطوانة الخيط التي كادت تنفلت من بين أصابعه تشبث بها

تهيأ له أن جسده الصغير الضامر بدأ يفقد ثقله شعر به خفيفاً كما لو أنه بلا وزن كيان هلامي حر لم يجد إيما صعوبة في الخروج والاقلاع من دوامة الغبار والأنقاض

الظل الرفيع الذي تكسر في الفوضى تلاشى الآن، ومعه تبدد الخوف والألم والسواد الموحش الحزين، وأدرك أنه يرتقي

طائرته الورقية راحت تصعد به في النور تصعد به أعلى من النخيل والبيوت والعمارات أعلى من الأبراج الشاهقة والجبال.. أعلى من الطائرات القبيحة الكالحة أعلى من الكبش الذبيح

الطائرة الورقية الملونة صارت تصعد به مثل لهب لؤلؤي في الزرقة والصمت والأمان حينها أيقن الطفل بفرح شاسع أنه لن يفقد بعد الآن طائرته، وسيصعد أبدا معها في الأعالي التي لاتُحد

١٠/٤/٢٠٠٠ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

عــاشـقان

قالت؛ إنها لاتستطيع أن تتأخر أكثر من ساعة واحدة

قال: لايهم

وفكر أن يستقل قطار الخامسة الذي سيغادر المحطة بعد ساعة واحدة فقط، بالرغم من أنه سيصل محطة المعقــل قبــل الموعد المتفق عليه بساعتين في الأقل، حيــث ســتكون فــي انتظارهم - هو وأقرانه الجنود - سيارة ((إيفا)) لتأخذهم إلــى جبهة الفوج

إنها الساعات الأخيرة من إجازته، وهـــاهو فــي زيّــه العسكري يحمل حقيبته على كتفه

قال: يتحدثون عن أسى الفراق   عن إحساس غــامض جارف وشفاف يصاحب ويعقب فراق الأحبــة فــي المحطــات والموانىء والمطارات   لنجرّب معايشة لحظات كهذه

واقترح عليها الذهاب إلى المحطة حالاً .

هزّت رأسها موافقة وقد إنتابها فرح طفولي ســـرعان ماغار خلف جدار كثيف من ضباب، غمر صدرها

كانت الشمس واهنة وهي تنحدر غربـــاً، والـــبرد مثـــل حشرات قارصة، يعبث في الأرجاء. وفي المحطة شبه الخاليـــة اختارا مقعداً في مواجهة الشمس هبت ريح لاذعة فاختضت أطرافها، وبدا وجهها كالتفاح الناضج تحت قلنسوتها البيضـــاء التي قالت عنها بزهو إنها حاكتها بنفسها

خلع قمصلته العسكرية الفرائية وألقاها على كتفيها

قالت: وأنت

ـ لاعليكِ، أنا متعود على البرد، وهذه الريح بالنسبة لي نسمة ربيع

ابتسمت وقالت احبكِ

شعر بالحيرة، ذلك أن مايريد أن يقوله لاتكفيـــه ســـاعة واحدة، ولا حتى بضع ساعات

تناول يديها، ونزع قفازيها الصوفيين برقة

ـ وهذان أيضاً، أنا التي حكتهما

أطبق بكفيه على كفيها الناعمتين،، وسمّر عينيـــه فـــي عينيها.. إختلجت على شفتيه إبتسامة مشبعة بالحزن .

قالت: مالكَ ؟

قال: احبكِ

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

إخضلت حدقتاها بالدمع فزادهما بهاء

ــ أجئنا إلى هنا لنبكي ؟

ضحكت وهي تسحب احدى يديها من بين يديه لتمسح بها عينيها، ثم لتعيدها ثانية إلى حيث كانت

أخذت الحركة تدب في المحطة جاء جنود آخرون جلس بعضهم على المقاعد، وفضّل الآخرون المشي أو الوقوف جماعات

قال: كان موعدي مع جماعتي على قطار السابعة، لكنني سأنتظرهم هناك

قالت: متى سترجع

ــ بعد ثمانية وعشرين يوماً إن شاء الله، إن لم يحدث مايوقف الإجازات أو

ــ لا

أطلقتها بخوف، ثم بنبرة خافتة رقيقة همست

ــ أنا متأكدة من أنكِ سترجع

ــ هل ستنتظرينني

بحماسة أجابت

ــ نعم، هنا في المحطة، بعد ثمانية وعشرين يوماً .

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

فوجيء باقتراحها، إذ أنه لم يكن يقصد أن تنتظره فـــي المحطة، أما هي فراحت تحسب على أصابعها ، ثـــم صـاحت بجذل

ـ الاثنين   ستكون هنا يوم الاثنين   في أية ساعة ؟

ـ سأصل بغداد في السابعة والنصف صباحاً

وقبل أن يتحرك القطار بدقيقة واحدة صعد الـــى عربتـــه وأطلَّ من النافذة بينما وقفت هي على رصيف المحطـــة تـــهز يدها ملوّحة، وخداها المتوردان تغسلهما الدموع

وزحف القطار فجعلت تمشي معه، ولمـــا أســـرع ألفـــت ساقيها تجريان

ـ ارجعي

صاح بها، وكانت ماتزال تركض لتلوح هذه المرة بكلتـــا يديها.

ابتعد القطار   فلم يعد يراها

* * *

بعد ثمانية وعشرين يوماً   في الساعة السابعة صباحاً، ورذاذ خفيف يهمي، كانت جالسة فـــي قاعـــة الانتظـــار، فـــي المحطة، متدثرة بقمصلة رمّانية   على رأسها قلنسوة بيضاء،

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

وقفازان أبيضان يحميان أصابعها الرهيفة من البرد كـــانت تتطلع عبر النافذة إلى امتداد القضبان الخارجة من بين البنايات البعيدة، تُمنّي نفسها بوصول القطار قبل نصــف ســاعة مــن موعده

٥/٤/١٩٨٨ جريدة القادسية

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الشيخ الذي تُشعره الظلمة بالنفور

الشيخ الذي تُشعره الظلمة بالنفور أزاح الستارة بعد أن فرغ من صلاته فألفى الفجر يشهق من خلل الأشجار

فجرا من دخان، وعلىالرغم من ذلك تسلل بعض النور إلى حصن شيخوخته

الشيخ الذي يكره صفارة الانذار ولايطيقها جلس بعد أن أعد الشاي واحتسى منه قدحين مع قطعتي بسكويت كما كان يفعل كل صباح وصفارة الانذار التي لم تطلق بعد عويلها إيذاناً بانتهاء الغارة كانت ماتزال تتصادى في أذنيه

شغل المذياع وأدار الموجة بأصابع خبيرة

كانت نشرة الاخبار قد بدأت توا، وصوت المذيع من بارود ودم محتقن

تم تدمير

تدمير

تدمير ......

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

لم يعد يسمع مايقوله المذيع المستفز

إنفتحت ثغرة في صوت المذيع فكركر علاّوي

إنتبه

غارت كركرة علاّوي   تم تدمير   تدمير   تدمير

أمس غادروا جميعاً إلى بعقوبة   قال؛ سأبقى

لم يكن ثمة جدوى من معارضته   وبقي   راح علاّوي معهم ، وكان يكركر عندما صعد السيارة

ـ جدو   تعال معنا

كركرةُ علاوي فتحت ثغرة أخرى في صوت المذيع

تم تد

أطفأ المذياع

الشيخ الذي لايطيق برد منتصف كانون قرّب كرسيه من المدفأة، ورفع قليلا قدميه المثلجتين لتكونا في مواجهة النار- والنار في الجوار - الانفجارات تترى

فكر   هي الحرب مرة أخرى

وقعت عيناه على ساعة الحائط   انها السابعة والربع الآن .. بعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة سيكون في المقهى كعادته

الشيخ الذي يفهم الجاحظ ولايفهم الحرب، بعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة استل كتاب (البيان والتبيين) من المكتبة

وغادر الدار كانت الحرب قد أفرغت الشوارع من المارة لم يبصر منهم الا قليلين قال

ـ مالهم يمرقون مسرعين ؟

ثم استدرك

ـ آه انها الحرب

غمره الاستياء لما وجد المقهى مغلق الابواب قال

ـ ياله من كسول شاكرٌ هذا

سأل جاراً له كان يركض

ـ مالك ؟

غارة أخرى

لعنة، ترى لم لم يفتح شاكر مقهاه ؟

ـ ياشيخ انها الحرب لم تجلس هنا ؟

ـ شاكراً، ولابد أنه سيأتي

ـ لن يأتي ياحاج

جلس على الدكة الخارجية للمقهى ينتظر اختنق النهار ولم يأت شاكر كانت الدكة تحته باردة قام اشتعل فيه الألم.. سيُقعده الروماتزم مرة أخرى هكذا فكر عليه أن يغادر هذا المكان الى أي مكان آخر سوى البيت عبر شارعين كان يمشي على مهل على الرغم من ضوضاء الحرب .. الفى نفسه قريباً من النهر

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الشيخ الذي يحب النوارس ويمقت خيوط الدخان اقترب من النهر   الشمس كانت قد ارتفعت، إلاّ أن البرد كان واخـزا مايزال.. زعقت نورسة ودوت صفارة الانذار، وانفجرت قنبلـة في مكان قريب.. أجال الشيخ ناظريه في السـماء المزدحمـة بالكرات الصغيرة البيض، والتي بدت وكأنها في حالة فوران لم ير الشيخ أية طائرة غير أنه كان يسمع الهدير. وعندما نظر أمامه، حيث الجسر كائن خرافي يتمطى، غشي الضباب مجالـه المرئي   خيل إليه للحظة أنه يحلم، ثم ايقن تماماً أنه لايحلـم، وأنها الحرب

وبغتة، في عصف قاتم دوم جسده   تطوّح في الفضـاء واستلقى على الأرض   فتح عينيه بصعوبة، وقبل أن يغلقهما أبصر كتاب (البيان والتبيين) مفتوحاً تقلّب أوراقـه الريـح ــ وكان ثمة ــ إزاءه ــ دمه المتشـظي كـآلاف مـن علامـات الاستفهام

ابتسم   حاول أن يفتح عينيه مرة اخرى   لم يسـتطع قط، بيد أنه تشبث بإبتسامته المريرة   ابتسامته الأخيرة

أغلق عينيه   أطلقت صفارة الانـذار زعيقـها ــ لقـد إنتهت الغارة

احاطت به كركرات صافية، فتكـت بـالزعيق الطويـل، وبقيت تتردد

٢٧/٦/١٩٩٤   جريدة القادسية

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الرجل الأعمى عند حافة الجسر

بعصاه اخترق الرجل الأعمى شوارع الحرب الهمهمة الغامضة تنوس خلل النهار، ولاأحد قريب سأل عن الوقت.. لم يتلق أية إجابة حتى مساء أمس كانوا يخبرونه حالا بمجرد أن يسأل؛ ((كم الساعة؟))

صعد الجسر كعادته مثل كل يوم فانثالت طفولته من أفق معتم قصي الجسر نزف أحلامه ومعبر أيامه الفريدة الغائرة.. بعد ساعات صاخبة ألفى مجساته ترتخي ويحل السكون

كف الدوي، وتوقفت لعلعة الرصاص قال

ـ الحرب تلتقط أنفاسها

الهواء المشبع بأنفاس النهر كان حاداً كالشفرة وقف هناك.. خيل إليه أنه وحيد، هذا اليوم، في هذه المدينة الكبيرة.. وأنه هو ـ لاغيره ـ هدف الطائرات المعادية .

لم يكترث لها، وماكان خائفاً، غير أن توجساً مبهماً كـان يطفو به ، وانقبض صدره غيمة كثيفة السواد انحبست بيـن أضلعه

ـ ربما، لن يأتي اليوم ماجد

ماجد الذي يغمره بسلام عذب كل صبـاح ويفتـح كفـه ليودعه وردة

((ـ انها بيضاء ياعم))

دوى انفجار

لقد عادت الطائرات مرة أخرى

في السكون الرخو نقرت عصا الرجل الأعمـى رصيـف الحرب.. إستدار ليتسلق عنق الجسر انه يعرف طريقـه المسار موحش لا لغط قريب، ولا زعيق لنورسة قال

ـ الحرب تشتت الأشياء الجميلـة اللغـط والزعيـق وهدير السيارات وصوت ماجد

وكان يصعد عندما أمسكت يد قوية ساعده

ـ إلى أين ياعم

ـ أعبر الجسر

ـ الجسر مقطوع

ـ لم :

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

ـ الطائرات

لم ينبس ثانية تسمّر، وكان يرتعش قال في سره

((ـ انه البرد ..))

بعد لحظات أحس بدمعة ساخنة تنحدر على خده الضامر.. قال وهو يمسحها

ـ انه الهواء ياله من يوم بارد

صعد الرجل الأعمى الجسر أشرطة الضوء تتقاطع، وثمة دوي مكتوم صوتٌ اشبه بقرع طبول في غابة متوحشة كان خائفا صاح

ـ رباه هاأنني أرى

وفكر؛ ((ـ منذ عشرين سنة لم ار شيئاً ..))

شعور بالضيق استبدَّ به، على الرغم من أنه صار يرى وكان بردانا

توالت رشقات الضوء على الجسر انبثق من قلب الليل ولد جميل، بيده ورد ابيض صاح الرجل الأعمى

ـ حذار، لاتقترب

سوط الضوء فلق الجسر صرخ الرجل الأعمى

ـ ماجد

كان الدوي المصاحب للضوء مرعباً ثم طغى الظلام

عند حافة الجسر وجدوا الرجل الأعمى ميتا لم يكـــن

في جسده المتصلب اثر لجرح

قال رجل عابر

ـ ربما قتله الخوف

قال آخر:

ـ لا أظنه البرد

١٩٩٤/٦/٢٧ جريدة القادسية

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

دردشــة

عوت صفارة الانذار   ارتبك الشيخ فانزلقت به عصاه..

توقف فتى كان قد سبقه وعاد ليعينه على القيام

ـ ليست كالحرب السابقة

قال الفتى واردف

ـ صفارة الانذار تعني الصواريخ

قال الشيخ

ـ تعني قيام الساعة

إندفعا داخل زقاق بدا مهجوراً

قال الشيخ

ـ الى أين؟

ـ لنبتعد

ـ ولكننا لاندري أين ستُسقط الطائرات حمولاتها ؟

ـ من الغباء أن نقف

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

أسند الشيخ ظهره إلى حائط رطب واستغرق في سـعال هائج.

قفل الفتى راجعاً وهو يلعن بعد أن وصل نهاية الزقـاق ووجدها مسدودة قال

ـ أنت ياعم قل لي؛ مـاالذي أخرجـك فـي يـوم الحجيم هذا؟

ـ ينبغي على المرء ألاّ ينتظر الموت وهو قـاعد فـي البيت

هز الفتى يده مستخفاً، وجلس على عتبة بـاب مغلـق بالقرب من الشيخ الذي سأل

ـ أعندك سيجارة ؟

استحوذ على سماء المدينة هدير متصل نـطَّ الفتـى مذعوراً.

ـ لقد وصلت

ـ أعطني سيجارة

ناوله الفتى سيجارة واشعلها

ـ هل ستبقى هنا ؟

ـ والى أين تريدني أن أذهب

ـ إلى بيتك .

أشار الشيخ الى الباب المغلق وقال
ــ هذا بيتي
تناهى صوت انفجار بعيد
حالما امتص الشيخ الدخان عاوده السعال كان سعالاً حاداً وخانقاً ضربه الفتى برفق على ظهره من دون جدوى.. إنكفأ الشيخ وجحظت عيناه أمسكه الفتى من كتفه وأجلسه تمادى السعال، ثم تحوّل إلى شهقات متلاحقة، وأخذ الجسد الهرم يختض.. أدار الفتى عينيه في الانحاء حائراً كأنه يبحث عن منجد... لاأحد
فكر أنه، ربما، كان من الأفضل أن يقرع باب بيت الشيخ... قرعه بقوة لم يتلق اية إجابة إقترب من الشيخ متمهلا كان وجهه مصفراً وتنفسه حشرجات ضعيفة
ــ لن تجد أحداً كلهم غادروا
ــ ليس من المعقول أن تقتلك سيجارة في الحرب
إندفع الفتى يقرع الأبواب المغلقة كلها في الزقاق.. تردد صدى أصم ولم يُفتح أيّما باب .. دوى انفجار قريب فانبطح الفتى لصق جسد الشيخ المسجى
بصوت واهن قال الشيخ
ــ اذهب ابتعد

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الجيدر//كتب.كتب.كتب

إرتسم على وجه الفتى شبح إبتسامة، وقال

ــ الأمر سيّان   هنا، أو هناك

٢٠٠١ مجلة أسفار

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الـخروج مـن الـحـلم

أدار الطفل عينيه في غلالات الدخان المتصاعد عبر فوق ركام من حجارة ساخنة، وبقايا أشياء منزلية، وأوراق احترقت حافاتها .. نظر إلى الأنقاض وفكر بأمه وأخته (مريم).. ناداها بتمتمة خافتة حاول مغادرة هذا المكان الذي لم يره من قبل فراح يمشي أسرع من ذي قبل

كان نائماً حين أنقذف جسمه الصغير وسط دوي مجنون، وكما لو أن أصابع ملائكية حملته، لم يُصب بأذى عرف أنه يحلم كما كان يحلم دائماً، غير أن حلمه هذا موحش ومقبض.. خطر له أنه، ربما، لا يحلم هو الآن / هنا، وعليه أن يكون بعد وقت قصير هناك، مع أمه وأخته (مريم)، ولعل أباه قد جاء... الأب الذي يأتي في أوقات متباعدة يعلوه الغبار والتعب والصمت .

لم يكن هناك بشر أو بيوت أو حدائق ـ العالم المـــألوف الذي اعتادته عيناه   الوجوم جعل نظراته جاحظة مرعوبـــة، وبقي يمشي حتى انتهى من تلال الانقاض وتوقف فـــي أرض خلاء   سمع عواء متصلا ومكتوماً، وشاهد سيارات كثـــيرة ـ حمر وبيض وكاكية ــ تأتي، وبشرا يندفعون منـــها بخـوف، ينبشون الانقاض

همس   ماما

همس : مريم

إقترب منه رجل كهل وراح يحدجه باشفاق قبل أن يحمله ويضمّه إلى صدره   عندها تملك الطفل حنين حـــارق وأســـى وهواجس غامضة فانفجر في بكاء عذب   طويل

١٠/٤/٢٠٠٠ في جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

رغـــبـة

في مسقط ضوء الشمعة، وتحت عينيها بانت مويجـــات الشيخوخة كانت تقضم خبزاً سيء الطعم أعدته فـــوق نـــار المدفأة، تنظر عبر النافذة الى الظلام، أو اللاشيء. وكان يحدق بوجهها وهو مترع بالجزع والاشفاق

لم يكن ليصدق أنها يمكـــن أن تـــدع الســـنوات تحـــرث الطفولة اللاعبةفي طلعتها هكذا أشعل شمعة ثانية أرعبـه جذعها الملموم في وسط الغرفة مثل القنفذ

إنه يكتشف الآن كم هي كبرت ويكتشف ويقدر كم كـبر هو أيضاً أخبرها بما يجول في خلده قالت

ــ لم لاتفعل شيئاً ؟

ــ مثل ماذا ؟

ــ أن تتكلم

ــ تكلمنا بما فيه الكفاية

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

ــ أن تسمع المذياع

ــ الأخبار هي نفسها

ــ أن تأكل

ــ لاأشعر بالجوع

ــ أن تقبلني

إبتسم احتوى وجهها بين راحتيه تمطت وجدها مثلما كان يجدها، في كل يوم، جسداً محتدماً بفائض النور والرغبة.

في العتمة، بعدما أطفأ الشمعتين، همست

ــ أسمع صوت الطائرات

ــ دعيها لسنا هدفاً مهماً

* * *

في صباح اليوم التالي، ومن بين الأنقاض، تم إنتشال أشلاء أجساد آدمية، من العسير أن يعرف المرء ماهي ولمن هي ! عدا كفين متقلصتين احداهما على الأخرى كان مايزال فيهما شيء من الدفء

٣١ / ٧ / ١٩٩٥ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

لــعــبة

في المرة السابقة علّمها كيف تلعب بلعبة صغــيرة مــن لعب الحرب بأصابعها العاجية المتشــككة لمســت المعــدن الأسود اللامع.

قال: خذيه أقبضي عليه بيديكِ أقتلي خوفكِ منه

قالت: إنه يرعبني

فتح كفيها وأغلقهما على المسدس الثقيل البارد قلبتــه ونظرت في الفوهة المعتمة لم تر إلاّ إمتــداداً لايُحــد مــن الظلام

قالت: الموت يخرج من هنا

قال: صوّبي الفوهة الى الجهة المقابلة الى العدو

قال: وأين العدو ؟.

قالت: افترضيه أمامكِ

علّمها كيف تسحب الأقسام وتُخرج الرصاصة المعدّة للاطلاق.. كيف تُفرغ مشط الطلقات وتملأه وتضعه في مكانه، وكيف تطلق النار

قالت: أطمئن فقط عندما أُفرغ المسدس من الطلقات

هذه المرة جاء أيضاً وتحت جلده سخام أيام عسيرة فكلما جاء في إجازة وجد السخام يغلق مساماته .. وكانت هي تعبر به حقولا من مطر، وحقولا من شمس وهواء نقي ليخرج كائناً جديداً ، مولوداً لتوّه، حراً، مغسول الروح

وهاهي، الساعة، مفتونة ونضرة مثل طفلة فوجئت أخيراً بالهدية / الحلم

انتزع القراب الجلدي وألقاه على السرير، ووقف أمام المرآة.. لم ير وجهه احتقن مدار بعيد، وهاجت الأصوات

وبين التلال كان الغبار والدخان ونوافير النار والجثث، أما هي فكانت خلفه جالسة على السرير تستل المسدس من قرابه لتجرده من مشط الطلقات، والرصاصة المتحفزة للإطلاق.

كانت الحرب لعبة كبيرة من معدن ودم وعصافير هاربة.. لعبة لاتستطيع لانهائية المرآة إحتواءها... وعلى حين غرة إنشرخت المرآة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

رآها والفوهة مدفونة في خاصرتها .. في طية الثـــوب ذي الورود الزرق الصغيرة   بيدها اليمنى تسحب الأقســـام ، ويدها اليسرى تقبض على بدن لعبة الحرب الصغــيرة هــذه ، واصبع ذو ظفر وردي نافر يعبث بالزناد

الذهول جمّد لحظاته، أما لحظات الزمان فكانت ســـائرة لاتلوي على شيء   لاأبالية ومفزعة

ـ ماهكذا

تمتم

ـ ماهكذا

عندما إلتفت إنبعث صوت معاد مكتوم

صرخ

ـ ايمان

فوق ثوب ايمان ذي الورود الـــزرق الصغــيرة نبــض ارجوان الموت   وحين اقترب وصرخته الثانية تختنـــق فـــي حنجرته كان الدم يبتلع مزيدا من ورود ثـــوب ايمـــان الـــزرق الصغيرة

٣١ / ٧ / ١٩٩٥ جريدة الثورة

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

حـالـة حـرب

إنخسف الليل ببطء بارد، وترامى ضوء أشعث كسير لم ترتعش الشجرة لتستلذ باستيقاظها كما هو دأبها كل صباح.. فوقها لم يبق إلاّ عصفور واحد كان واجماً ، عاجزاً عن الزقزقة لايستطيع أن يفهم لم كان ذلك الدوي؟ وتلك الومضة المرعبة؟ ولم الأغصان سود مذبوحة ؟ ولم الريش والدم والرؤوس الصغيرة المقطوعة على الأرض؟ ولم هو وحيد الآن ؟ !!

٢٧ / ٦ / ١٩٩٤

جريدة القادسية

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

الـمحـتـوى

مكتبة ماجد الحيدر/كتب.كتب.كتب

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة

(المحطات سلة وعود ، ومبتدأ عوالم ، ورهان حتى على المستحيل .. في الطريق إليها أتقنت فن الحلم ،وأدركت أنني لن أكون مؤهلاً للتوافق مع الاشياء، أو للتضاد معها ، أو لإثبات المعنى - معنى أي شيء وكل شيء - إلا بالاستحواذ على سر اللعبة التي نسميها الكتابة . ذلك أن المحطات تنبئ عن الغياب ،وتقول بالرحيل ،وتهيئ للغربة والمنفى ، وتذكر بالموت . وهي أيضاً تنبئ عن اللقاء ، وتقول بالعودة وتمنح الطمأنينة والحب ،وتجهر بالحياة . فالمحطات تطوي في هدير قطاراتها مفارقة الوجود-الا في كمال الدخول والخروج ، أوالحضور والغياب ، أو الابتداء والانتهاء فحسب .. بل في سلطة السؤال المقلق : أن تكون ، أو .. لا)

وزارة الثقافة

الغلاف : سهام صبري

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - ٢٠٠٤

السعر : ١٠٠٠ دينار

مكتبة ماجد الحيدر//كتب.كتب.كتب